منال الطالب

في شرح طوال الغرائب

لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد

ابن الأثير

٥٤٤ - ٦٠٦ هـ

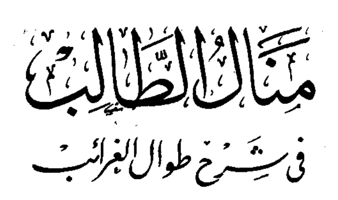
الجزء الأول

تحقيق

الدكتور محمود محمد الطناحي

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة




منال الطالب
فى شرح طوال الغرائب

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويرى

مكتبة الخانجى

للطباعة والنشر والتوزيع

ص . ب ١٣٧٥ القاهرة

الطبعة الثانية

١٤١٧ = ١٩٩٧ م

رقم الإيداع ٢٥٥٢ / ٨٣

ترقيم دولى ٧ - ٠٠٥ - ٥٠٥ - ٩٧٧

مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر ٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٤٨٩٧٨٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى المُلْك . سبحانه خلق كلَّ شئ فقدَّره تقديرا . والصلاة والسلام على سيّدنا ومولانا محمد ابن عبد الله ، أرسله ربُّه بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه ، فكان شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا ، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرا . اللهم صلّ وسلّم وبارك عليه وعلى أبويْه الرسولين الكريمين إبراهيم وإسماعيل ، وسائر إخوانه المُصْطَفَيْنَ الأخيار ، وآلِه الأبرار ، وصحابته الأطهار ، ثم على من دعا بدعوته واهتدى بهَدْيه إلى يوم الدين .

وارضَ اللهمَّ عن أئمتنا وعلمائنا ، وارحم آباءَنا وأمهاتِنا ومشايخَنا وكلَّ من له حقٌّ علينا .

وأوزِعْنا اللهم شكرَ نعمتك ، وأعِنَّا على دَرَك الحق ، وسَهِّلْ لنا طريقَه والعملَ به ، وزِدْنا حبًّا فى العربيّة ، وثبِّتْنا عليها.

وارزقْنا حُسن التوكّل عليك ، وتفويضِ الأمور إليك ، وزهِّدْنا فيما فى يد عبادك ، وهوِّنْ علينا مكرَهم ، ورُدَّ عنا بأْسَهم ، لا منصورَ إلاَّ من نصْرتَه ، ولا مخذُولَ إلاَّ من خذلتَه ، أنتَ النافع الضارّ ، المعزّ المذلّ ، سبحانك وأنت على كلِّ شيْءٍ قدير .

ثم أمّا بعد :

فهذه هى الطبعة الثانية من كتاب « منال الطالب فى شرح طِوال الغرائب » الذي صنَّفه الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ، المعروف بابن الأثير الجزَرى المتوفى سنة ستٍّ وستمائة .

وكنت قد نشرتُه عن أصلٍ نفيس ، كتبه محمد ابنُ أخي المصنِّف ضياءِ الدين نصرِ الله ، صاحبِ كتاب « المثل السائر » ، وبعد أن فرغ من نسخه قرأه وسمعه على عمِّه مجدِ الدين المصنِّف ، وقد حضر هذا السماعَ وكتبه الأخُ الثالث عز الدينِ عليّ ، صاحبُ « الكامل » و« اللباب » ، وهذا توثيقٌ عالٍ للنسخة ، فضلًا عما فيه من كشفٍ للصلات العلمية داخلَ الأسرة الواحدة.

وهذا الأصل النفيس احتفظت به مكتبات المغرب الأقصى ، وأدَّتْه إلينا سالمًا كاملًا وضيئًا ، كأنه خرج من يد كاتبه لتوَّتِه ولحظته ، وكنت قد صوَّرتُه بنفسي عام ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م ، فى أثناء زيارتى للمغرب ، عضوًا فى بعثة معهد المخطوطات العربية . وكم للمغرب من أيادٍ على التراث ومخطوطاته [١] .

وقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م وكان الذي تولَّى نشرَها - مشكورًا مأجورا - مركز البحث العلميّ وإحياء التراث الإسلامى ، بجامعة أمّ القرى ، بمكة المكرمة .

فهذه اثنا عشر عامًا مضت على تلك الطبعة التى لم يُتَحْ لها أن تَذِيع وتنتشر ، وهذا هو الشأن فى كثير من تلك المطبوعات التى تصدر عن الهيئات العلمية التى لا تطرح مطبوعاتها للبيع ، وإنما تقصرها على الإهداء . وهذا الإهداء دائرته محدودة جدا ؛ لأنه إما أن يوجَّه لبعض الأفراد ؛ لعلاقاتٍ خاصَّة ، وإما أن يوجَّه لهيئات أخرى لا تتيحه لكل القرّاء . على أن فى هذا الإهداء بعضَ الآفات ، وهو أنه يوجَّه أحيانًا لمن لا يعرف قدرَه ، أو لا يدرك وجه النفع منه ، وأعرف بعض من تُهدى إليهم الكتب فى المؤتمرات

---

(١) انظر كتابى : مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربى ، ص ١٨٦ - مكتبة الخانجى - القاهرة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

والندوات كانوا يتركونها فى الفندق ؛ استثقالًا لحملها ، أو فِرارا من مؤونة الوزن الزائد فى شركات الطيران (١) .

على أن هذه الاثنى عشر عاما قد أتاحت لِي أن أُكثر النظرَ فى الكتاب ، وأصدر هذه الطبعةَ الثانية منه ، أُصلِح فيها ما أَثْأَتْ يدُ الغَفَلات : مِن ضبطٍ خاطئ ، أو تصحيح خطأ طِباعيّ ، أو زيادة فى التوثيق والتخريج لنصوص الكتاب ، مما لم يكن مطبوعًا في ذلك الوقت ، أو مما غفلَتْ عنه العين ، أو ذَهَل عنه الخاطر فى الطبعة الأولى .

وكلّ الذي أرجوه أن تخرج هذه الطبعة الثانية قبل أن تمتدّ إلى الطبعة الأولى يدُ سُرَّاق الكتُب ولصوصها الذين كثروا فى ذلك الزمان ، يأكلون جهود الناس ، ويغتالون تاريخهم اغتيالا ، بتلك الطبعات المصوَّرة المزوَّرة .

* * *

وتبقى كلمة :

لقد قلت : إن الطبعة الأولى من ذلك الكتاب قد صدرت عن مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى ، بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، زادها الله تشريفًا وتكريمًا ومهابة ، وتلك أيامٌ عزيزة ، أذكرها فتفيض النفسُ سعادةً وتَحنانا ، ففى عام ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م تلقيت دعوةً علميّةً كريمة من كلية الشريعة بمكة المكرمة ، للمشاركة فى إرساء قواعد مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى الذي قام فى تلك الأيام ملحقًا بكلية الشريعة . وقد أنزلنى القومُ آنذاك مُنْزَلًا كريما (٢) .

---

(١) أخبرنى بعض إخوانى المشرفين على بعض المؤتمرات فى بلدٍ عربى كبير ، أنه كان يذهب عقب انقضاء المؤتمر ، ومعه عدّة عربات لنقل الكتب من الفندق ، والعودة بها إلى مخازنها ، من حيث أتت .

(٢) حيث عُومِلْتُ وظيفيًّا تحت بندٍ هناك يسمَّى « كفاءة نادرة » يُعامل به الإنسان الذي أكرمه الله بشئ من العلم معاملةَ « العالِم » لا معاملة « حامل الشهادة العليا » . وفى =

ولم يكن فى تقديري البقاءُ بتلك الديار المباركة أكثر من عامين أو ثلاثة، لأعود إلى عملى بمعهد إحياء المخطوطات بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - ومعهد المخطوطات هو بيتى وشبابى وأحلامى - ولكنْ شاء ربّك أن تمتدَّ الإقامةُ أحد عشر عامًا ، فكنت كما قال أحمد بن الحسين بن حَيْدَرة ، الشاعر المعروف بابن خراسان (٤٩٧ هـ) :

نـزلْـنـا عـلـى أن المُقـامَ ثـلاثـةٌ

فطابتْ لنا حتى أقمْنا بها عَشْرا

* * *

وكان مما قدَّر الله وقضى أن أترك مركز البحث العلمي ؛ للتدريس بقسم الدراسات العليا العربية ، والإشراف على بعض الرسائل الجامعية العليا .

= ظِلّ هذا البَنْد كان يعامل الأساتذة : محمد متولى الشعراوى ، ومحمد الغزالى ، والسيد أحمد صقر ، والسيد سابق ، ومحمد قطب ، وطائفة من كبار مشايخ الأزهر ، من طبقة الفقهاء الحفَظَة ، منهم : محمد الصادق عرجون . ومحمد أبو شهبة ، وعثمان مريزق ، وسيد العقبى ، ومحمد شعبان حسين ، وأحمد أبو سنة ، وعلى العَمّارى . ثم الشيخ المُعَمَّر الفقيه ، شيخ الشافعية فى وقته ، ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر ، الشيخ محمود عبد الدائم .

وفى رِحاب هذه الكوكبة النادرة من العلماء الأعلام ، التى قلَّ أن تجتمع فى مكان ، تخرَّجت طائفة من الشباب السعوديين النابهين ، مؤسِّسين تأسيسًا علميًّا صحيحًا .

ومن أمانة التاريخ ، ومعرفة أقدار الناس أذكر هنا أصحاب الفضل فى إرساء هذه المبادئ العلمية الرفيعة : الشريف راشد الراجح ، ومحمد بن سعد الرشيد ، وناصر بن سعد الرشيد ، وعليّان بن محمد الحازمى ، وعبد الله بن سليمان الجربوع ، وحسين حامد حسَّان ، وحسن محمد باجودة . فهؤلاء هم الذين سَعَوْا إلى العلماء فى بيوتهم ، وأحلُّوهم دارَ الكرامة ، ولم يتغيَّروا عليهم بطول المكْث والإقامة .

وكانت أيّامًا زاكية مباركة ، قرأت فيها مع إخوانى الشباب [١] هناك شيئًا من علوم العربية ، وقد أعطيتهم وأعطونى ، أعطيتهم خِبرةَ الأيام ، وثِمارَ مجالسةِ أهل العلم ومشافهتِهم والروايةِ عنهم ، وأعطونى حماسةَ الشباب وتوقُّدَه ، بل إنهم فتحوا لى أبوابًا من النظر ، ودلُّونى على فوائد فى الكتب ، لم أكن أقف عليها لولا نظرُهم ومفاتشتُهم ، ولازلت أقول : إننا حين نعلِّم ونُخرِّج أبناءنا الطلبة إنما نقرأ معهم العلمَ مرَّة أخرى ، بل ربّما استفدنا منهم مثل الذي استفادوه منّا ، ولأمرٍ مّا كان التلميذ قديما يسمَّى « صاحبًا » لشيخه : فأبو يوسف ومحمد صاحبا أبى حنيفة ، والربيع بن سليمان المرادى صاحب الشافعي ، وابن جنى صاحب أبى على الفارسىّ ... وهلمَّ جرًّا .

وهكذا مضت أيامى مع هؤلاء الأحباب ، فقضيت معهم وبهم أحلى الأوقات ، وسعدت بأكرم جِوار ، ونَعِمْتُ بأرحَب دار ، ولولا أكْبادُنا التى تمشى على الأرض ، لمَا كان لى عن هذه الديار مَذْهَبٌ ولا مُتَحوَّل ، ولازلت مع تطاوُل الأيام وكُرُور الليالى أجِدُ لَذْعَ تلك الدمعةِ السَّخينة التى تحدَّرت من عينى ساعةَ غادرت مكة ، وأنا أُنْشِد قولَ الشريف الرضيّ :

وتلفَّتَتْ عينى فمُذْ خَفِيتْ   عنّى الطُّلولُ تلفَّت القلبُ

وما بَرِح القلبُ يتلفَّت ، ومازالت العين تشتاق حتى يأذن الله بلقاء .

---

(١) أذكر منهم : عياد بن عيد الثبيتى ، وسليمان بن إبراهيم العايد ، ومحمد بن حمود الدعجانى ، وعثمان بن حسين الصينى ، وحماد بن محمد الثمالى ، وصالح الغامدى ، إلى شباب آخرين ، لم أُشرِف عليهم ، ولكننى سعدت بمُذاكرتهم ومجالستهم، ومناقشة بعضهم فى رسائلهم الجامعية ، منهم : عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، وسعد بن حمدان الغامدى، وحَمد الزايدى ، وعبد الله القرنى ، ومحمد العمرى ، ومحسن العميرى ، والشريف عبد الله الحسينى البركاتى - شفاه الله - ومحمد بن مريسى الحارثى وعبد الله العبادى ، سقى الله أيامهم جميعًا بالخير .

اللهم اجْزِ إخوانَنا هؤلاء خيرَ الجزاء ، واربِطْ على قلوبهم ، واجعلْهم موصولين بالعلم ، بارِّين به ، حافظين لأمانته .

﴿ ربَّنا عليك توكَّلْنا وإليك أنَبْنا وإليك المصير ﴾ ﴿ ربَّنا اغفرْ لنا ذُنوبَنا وإسرافَنا فى أمرنا وثبِّتْ أقدامَنا وانصُرْنا على القوم الكافرين ﴾ ﴿ ربَّنا اغفِرْ لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعلْ فى قلوبنا غِلاًّ للذين آمنوا ربَّنا إنك رءوفٌ رحيم ﴾ ﴿ ربَّنا تَقبَّلْ مناَّ إنك أنت السميعُ العليم ﴾ ﴿ وتُبْ علينا إنك أنت التوّابُ الرحيم ﴾ .

وصلَّى الله وسلَّم وبارَك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتب
أبو محمد
محمود محمد الطناحى
غُرَّة رمضان المعظّم ١٤١٧ هـ
التاسع من يناير ١٩٩٧ م

٦ شارع بشار بن برد
المنطقة السادسة - مدينة نصر
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمدُ لله فاتحة كلّ خير وتمام كلّ نعمة ، أحمده سبحانه وتعالى حمداً كثيراً طاهراً طيّباً مباركاً فيه ، وأصلّى وأسلّم على سيّدنا محمد الناطق بأفصح لسان والمبعوث رحمةً للعالمين . اللهم صلّ وسلّم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته أجمعين .

أما بعد : فهذا كتاب جديد من كتب غريب الحديث ، هذا العِلْم الذى انْتَدَب العلماءُ للتصنيف فيه منذ القرن الثانى ، وقد اختلفت مصنَّفاتهم فيه شِرعةً ومِنهاجا ، فعَمد بعضهم إلى شرح مافى حديث رسول الله ﷺ من الغريب جُمْلةً ، ثم قفَّى بشرح غريب أحاديث الصحابة والتابعين ، رضوان الله عليهم أجمعين . ومن ذلك كتب أبى عبيد القاسم بن سلَّام المتوفى سنة (٢٢٤) وأبى محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة المتوفى سنة (٢٧٦) وأبى سليمان حَمْد بن محمد الخَطّابى البُسْتى المتوفى سنة (٣٨٨) . وهذه الكتب الثلاثة عمدة هذا الفنّ ، وقد دارت دوراناً عظيماً فى كتب المتأخرين .

وفريقٌ ثانٍ انتزع الأحاديث المشتملة على الغريب ، ونَسَقَها على حروف المعجم ثم شرحها وَفْقَ الحروف الهجائية ، وهذه الطريقة أقرب تناولاً وأيسر سبيلا ، ثم هى أجدى نفعاً فى الدراسات اللغوية ، حيث تفيد فى تتبّع اللفظ ومعرفة دورانه وتطوره الدّلالى . ومن هذه الكتب :

الغريبين لأبى عبيد أحمد بن محمد الهروى المتوفى سنة (٤٠١) ، والفائق لجار الله أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى [١] المتوفى سنة (٥٣٨) ، والنهاية لمجد الدين أبى السعادات المبارك بن محمد ، ابن الأثير المتوفى سنة (٦٠٦) ، وقد رُزِق هذا الكتاب الحظوة والقبول ، لسهولة مأخذه وقرب تناوله ، وقد اقتضته هذه السهولة أن يذكر بعض كلمات الحديث على ظاهر لفظها ، دون أن يجرِّدَها من الزوائد .

وطائفة ثالثة جرَّدت أحاديث بعينها ، وأفردتها بالشرح [٢] . من ذلك صنيع أبى بكر محمد بن القاسم بن الأنبارى المتوفى سنة (٣٢٨) حين شرح حديث السيدة عائشة رضى الله عنها ، فى صفة أبيها أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه [٣] .

---

(١) فى طريقة الزمخشرى بعض العُسْر ، وفى العثور على الحديث منه كُلْفة ومشقة ، فإنه وإن رتَّب الأحاديث على حروف المعجم ، إلا أنه يشرح مافيه من الغريب جملة واحدة ، فتاتى الكلمة فى غير حرفها ، وإذا تطلبها الإنسان تعب حتى يجدها ، كما ذكر ابن الأثير فى مقدمة النهاية ، وقد أحسن محققا الكتاب حين صنعا له فهارس لألفاظ اللغة على حروف الهجاء ، وإن فاتتهما بعض الكلمات ، والكمال لله وحده .

(٢) انظر كشف الظنون ص ١٠٣٦ - ١٠٣٩ .

(٣) نشر هذا الشرح بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، بالمجلد السابع والثلاثين . وأبو بكر بن الأنبارى من شرّاح غريب الحديث . وقيل : إن مصنَّفه فى غريب الحديث خمسة وأربعون ألف ورقة [راجع مقدمتى لتحقيق النهاية ص ٥] ، وقد أثنى عليه أبو سليمان الخطابى فى مقدمته الجامعة لكتابه غريب الحديث . قال رحمه الله : « ولابن الأنبارى من وراء هذا مذهب حسن فى تخريج الحديث وتفسيره ، وقد تكلم على أحاديثَ معدودة وقع إلىَّ بعضُها ، وعامَّتها مفسَّرة قبلُ ، إلا أنه قد زاد عليها وأفاد ، وله استدراكات على ابن قتيبة فى مواضع من الحديث » .

ومنه أيضاً كتاب « بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زَرْع من الفوائد » [1] للقاضى عِياض بن موسى اليَحْصُبىّ السَّبتىّ المتوفى سنة (٥٤٤) .

ويمثل كتاب « منال الطالب فى شرح طِوال الغرائب » الذى نُقدِّم له ، منهجاً رابعاً من مناهج التصنيف فى غريب الحديث ، وهو جَمْع وشرح الأحاديث الطويلة المأثورة عن رسول الله ﷺ ، والصحابة والتابعين ، رضوان الله عليهم أجمعين . وهذا الكتاب لا أعلم له سَمِيّاً فى كتب المتقدمين والمتأخرين ، والكلام على ذلك آتٍ إن شاء الله ، بعد أن أحدثك عن معنى الغريب ، وترجمة المؤلف رحمه الله .

معنى الغريب :

أورد الإمام أبو سليمان الخَطَّابى ، فى مقدمة كتابه « غريب الحديث » كلاماً نفيساً فى معنى الغريب والغرابة فى الكلام ، وقد آثرت أن أسوقه كلّه ، ثم أخلىَ بينك وبينه ، فإنى رأيت كثيراً من كلام الأوائل ، رحمهم الله ، يفقد حلاوته ودلالته معاً حين نعمِد إلى تلخيصه أو اختصاره .

قال أبو سليمان رحمه الله[2] : « الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد من الفهم ، كالغريب من الناس إنما هو البعيد عن

---

(١) نشر بالرباط – المغرب الأقصى – سنة ١٣٩٥ – ١٩٧٥ ، بتحقيق الأساتذة صلاح الدين بن أحمد الإدلبى ، ومحمد الحسن أجانف ، ومحمد عبد السلام الشرقاوى ، ونشر معه تفسير الحافظ السيوطى للحديث نفسه .

(٢) غريب الحديث ١/ ٧٠

الوطن ، المنقطع عن الأهل ، ومنه قولك للرجل إذا نحَّيته وأقصيته : اغرُب عنى ، أى ابعُدْ ، ومن هذا قولهم : نَوًى غَرْبَةٌ ، أى بعيدة ، وشأْوٌ مُغَرِّبٌ ، وعَنْقاءُ مُغْرِبٌ ، أى جائية مِن بُعْد ، وكلّ هذا مأخوذٌ بعضُه مِن بعض ، وإنما يختلف فى المصادر ، فيقال : غَرَب الرجلُ يَغْرُب غَرْباً : إذا تنحَّى وذهب ، وغَرُب غُرْبةً : إذا انقطع عن أهله ، وغَرُبت الكلمةُ غَرابة ، وغرَبت الشمسُ غُروباً .

ثم إن الغريب من الكلام يقال به على وجهين :

أحدهما أن يُرادَ به بعيدُ المعنى غامضُه ، لا يتناوله الفهمُ إلا عن بُعْدٍومعاناةِ فِكر .

والوجه الآخر : أن يراد به كلامُ من بَعُدت به الدارُ ، ونأى به المَحَلُّ مِن شَواذٍّ قبائل العرب ، فإذا وقعت إلينا الكلمةُ من لغاتهم استغربْناها ، وإنما هى كلامُ القوم وبيانُهم ، وعلى هذا ماجاء عن بعضهم ، وقال له قائل : أسأُلك عن حرفٍ مِن الغريب ، فقال : هو كلام القوم ، إنما الغريبُ أنت وأمثالك من الدُّخلاء فيه » .

ثم يُعلِّل الخطَّابى كثرةَ مجىء الغريب فى حديث رسول الله ﷺ ، فيقول (١) : « إنه ﷺ بُعث مُبلّغاً ومُعلّماً ، فهو لايزال فى كلّ مقام يقومه وموطنٍ يشهده يأمر بمعروفٍ ، ويَنْهَى عن منكر ، ويَشْرَع فى حادثة ، ويُفتى فى نازلة ، والأسماع إليه مُصْغية ، والقلوب لِما يرد عليها من قوله واعية ، وقد تختلف عنها عباراتُه ، ويتكرّر فيها بيانُه ، ليكون أوقعَ

---

(١) غريب الحديث : ٦٨/١

للسّامعين ، وأقرب إلى فهم مَن كان منهم أقلَّ فِقهاً ، وأقربَ بالإسلام عهدا . وأولو الحِفظ والإتقان مِن فقهاء الصحابة يُرْعُونها كلَّها سَمْعا ، ويستوفونها حِفظا ، ويؤدُّونها على اختلاف جهاتها ، فيجتمع لذلك فى القضية الواحدة عِدَّةُ ألفاظ تحتها معنىً واحد ، وذلك كقوله : « الولَدُ للفِراش وللعاهِر الحَجَرُ » . وفى رواية أخرى : « وللعاهر الإثْلِب » ، وقد مَرَّ بمسامعى ولم يثبت عندى : « وللعاهر الكِثْكِث » .

وقد يتكلّم ﷺ فى بعض النَّوازل ، وبحضرته أخلاطٌ من الناس ، قبائلهم شتَّى ، ولغاتهم مختلفة ، ومراتبهم فى الحفظ والإتقان غير متساوية ، وليس كلُّهم يتيسَّر لضبط اللفظ وحصره ، أو يتعمَّد لحفظه ووعيه ، وإنما يستدرك المرادَ بالفحوى ، ويتعلّق منه بالمعنى ، ثم يؤدِّيه بلغته ، ويعبِّر عنه بلسان قبيلته ، فيجتمع فى الحديث الواحد إذا انشعبت طُرُقه عِدَّةُ ألفاظ مختلفة ، مُوجبها شىءٌ واحد ، وهذا كما يروى أن رجلاً كان يُهدى إلى رسول الله كلَّ عام راوية خمر ، فأهداها عامَ حُرِّمت ، فقال : إنها حُرِّمت ، فاستأذنه فى بيعها ، فقال له : إن الذى حرَّم شُرْبَها حرَّم بيعها ، قال : فما أصنع بها ؟ قال : سُنَّها فى البطحاء ، قال : فسنَّها ، وجاء فى رواية أخرى : فهَتَّها ، وفى رواية أخرى : فبعَّها ، والمعنى واحد .

ولكثرة ما يردُ من هذا ومِن نظائره ، يقول أبو عبيدة مَعْمر بن المُثَنَّى : « أعيانا أن نعرفَ أو نُحْصىَ غريب حديث رسول الله ﷺ ».

هذا كلام الخطّابى ، وقد أورد ابن الأثير أيضاً كلاماً جيداً فى نشأة الغريب ومراحل التصنيف فيه ، تراه فى مقدمة النهاية [1] .

---

(١) ثم تكلمت أنا أيضاً فى مقدمة تحقيقى للنهاية عن علماء الغريب ، وسردت أسماءهم سرداً تاريخياً .

بدايات التأليف فى غريب الحديث :

العلماء مجمعون على أن أوَّلَ من ارتاد الطريق وصنَّف فى غريب الحديث هو أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنّى التَّيْمى بالولاء المتوفى سنة [١] (٢٠٩) ، إلاّ ماذهب إليه الإمام أبو عبد الله الحاكم النَّيْسابورى المتوفى سنة (٤٠٥) فإنه ذكر أن أوّلَ من صنَّف فى الغريب النضر بن شُميل المتوفى سنة (٢٠٣) ، قال الحاكم رحمه الله فى النوع الثانى والعشرين من علوم الحديث [٢] : « هذا النوع منه معرفة الألفاظ الغريبة فى المتون ، وهذا علم قد تكلم فيه جماعة من أتباع التابعين ، منهم مالك والثورى وشعبة ، فمن بعدهم ، فأول من صنَّف الغريب فى الإسلام النضر بن شُمَيل ، له فيه كتاب هو عندنا بلا سماع » .

ومهما يكن من أمر فإن النضر بن شميل معاصر لأبى عبيدة معمر بن المثنى كما ترى ، وفى ذلك الزمان صنف فى غريب الحديث أيضاً محمد بن المستنير المعروف بقطرب المتوفى سنة (٢٠٦) ، والأصمعى ، عبد الملك بن قُرَيْب المتوفى سنة (٢١٦) ، صنَّف كتاباً يقع فى ورقات معدودة ، وكذلك صنَّف شمر بن حمدوية المتوفى سنة (٢٥٥) ، وغير

---

(١) نلاحظ أن نقول المتأخرين عن كتاب أبى عبيدة هذا قليلة جداً ، فلم أظفر بنقل عنه إلا فى موضعين اثنين من « النهاية » لابن الأثير ، مادة (شقشق) ومادة (ملأ) ، وفى الموضع الأول اختلفت نسخ النهاية ، فبعضها قال : « أبو عبيدة » وبعضها : « أبو عبيد » . وفى موضعين اثنين أيضاً من كتاب تهذيب الأسماء واللغات للنووى – قسم اللغات مادة (ضمن) ومادة (لقح) ، صحيح أن النقل عن أبى عبيدة كثير فى كتب اللغة ، لكن النص على النقل من كتابه فى غريب الحديث قليل .

(٢) معرفة علوم الحديث ص ٨٨ .

هؤلاء من علماء ذلك القرن ، ولكن هذه الكتب على كثرة عددها إذا حُصِّلت كان مآلها كالكتاب الواحد ، كما يقول الخطابى [١] .

البداية الحقيقية للتصنيف فى غريب الحديث جاءت على يد الإمام الجليل أبى عبيد القاسم بن سلام المتوفى بمكة البلد الأمين سنة (٢٢٤) ، وقد احتشد أبو عبيد لهذا العمل احتشاداً عظيماً ، وروى عنه أنه قال [٢] : « مكثت فى تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة ، وربما كنت أستفيد الفائدة من أفواه الرجال فأضعها فى موضعها من الكتاب ، فأبيت ساهراً فرحاً منى بتلك الفائدة » .

وقد نشر هذا الكتاب الجليل بمطبعة دائرة المعارف العثمانية ، بحيدر آباد الدكن ، بالهند ، سنة ١٣٨٤ - ١٩٦٤ فى أربعة أجزاء .

ولعلماء الهند فضل مذكور مشكور فى نشر كتب التراث عامة ، وكتب الحديث خاصة ، ويُحسَب ذلك فى موازينهم عند الله تعالى يومَ تجد كلّ نفسٍ ماعمِلَتْ مِن خيرٍ مُحْضَرا ، لكنهم قصَّروا فى نشر هذا الكتاب ، وأَخَلُّوا بأمرين : الأمر الأول أنهم جرَّدوا متن الكتاب من الإسناد ، حين اختاروا للنشر نسخة غير مسندة ، ووضعوا الإسناد من نسخة فى الهامش ، مع أن نقول المتأخرين عن كتاب أبى عبيد ، يأتى معظمها مسنداً ، كما تراه فى كتابنا هذا « منال الطالب » . وكذلك جاءت نقول المتقدمين ، كما تراه فى كتاب « الزاهر » لأبى بكر بن الأنبارى [٣] .

---

(١) غريب الحديث ، ورقة ٤ .

(٢) وفيات الأعيان ٦١/٤ ، وغريب الحديث للخطابى ، ورقة ١٣ .

(٣) انظر الزاهر ٥٧/١ .

والأمر الثانى أنهم لم يصنعوا للكتاب أىَّ نوع من الفهارس ، وكتب التراث بلا فهارس كنزٌ بلا مِفتاح ، وهذا الكتاب قد اشتمل على علم غزير ، وذكر آراء فقهية كثيرة لهؤلاء العلماء الذين لم تجمع آراؤهم ، مثل الإمام إبراهيم بن يزيد النَّخَعىّ [١] ومَن إليه ، هذا إلى ماتضمنه من الشواهد الشعرية التى لاترى بعضها فى دواوين الشعراء المجموعة ، وماذكره فى تفسير الألفاظ واشتقاقها . وقد كنت صنعت له فهرساً للألفاظ والموادّ اللغوية ، طبعته على الآلة الكاتبة ، ووزعته على أساتذتى وإخوانى المشتغلين بالعلم .

ثم صنعت فهرساً آخر للشواهد الشعرية فى الكتاب ، ونشرت الفهرسين معا ، بالعدد الرابع من مجلة مركز البحث العلمى بكلية الشريعة ، جامعة أم القرى .

تتابعت المصنفات فى غريب الحديث بعد أبى عبيد القاسم بن سلام ، وتنوعت مناهجها كما ذكرت من قبل ، ولم يخل قرنٌ من تصنيف ، حتى كان زمان الإمام مجد الدين ابن الأثير ، الذى صار كتابه بحق : « النهاية » فى هذا الفنّ العزيز الشريف ، وقد أحصيت هذه المصنَّفات عَدداً ، فى مقدّمتى لتحقيق « النهاية » بما يُغنى عن إعادتها هنا ، فمن أراد معرفتها فليلتمسها هناك [٢]

---

(١) بعد كتابة هذه المقدمة اطلعت على « موسوعة فقه إبراهيم النخعى » التى جمعها ورتب موادها على حروف المعجم ، الدكتور محمد رواس قلعة جى . وقد قام على نشر هذه الموسوعة مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى التابع لكلية الشريعة بمكة المكرمة .

(٢) انظر أيضاً : الفهرست لابن النديم ص ٨٧ ، ومعجم الأدباء ١٥٥/١٩ ، وتاريخ بغداد للخطيب ٤٠٥/١٢ ، وإنباه الرواة ١٤/٣ (ترجمة أبى عبيد القاسم بن سلام) =

ترجمة ابن الأثير

هو مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشَّيبانى الجَزَرى ثم الموصلى الشافعى . ويُعرف بابن الأثير ويُعْرف بذلك أيضاً :

أخواه : عز الدين أبو الحسن علىّ ، المولود سنة (٥٥٥) والمتوفى سنة (٦٣٠) وهو صاحب كتاب « الكامل » فى التاريخ ، و « أُسْد الغابة فى معرفة الصحابة » و « اللباب فى تهذيب الأنساب » للسمعانى .

وضياء الدين أبو الفتح نصر الله ، المولود سنة (٥٥٨) والمتوفى سنة (٦٣٧) وهو صاحب كتاب « المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر » . و« كفاية الطالب فى نقد كلام الشاعر والكاتب »(١) .

ونقل صاحب تاج العروس ، فى مادة (أثر) عن بعضهم ، فى أبناء الأثير :

وبنو الأثير ثلاثة ... قد حاز كلٌّ مُفْتَخَرْ
فمؤرِّخٌ جمع العلو ... مَ وآخَرٌ ولِىَ الوَزَرْ
ومحدِّثٌ كتب الحديـ ... ـثَ له النهاية فى الأَثَرْ

= وفهرس الكتب من كتاب « فهرسة ما رواه عن شيوخه أبو بكر بن خير الإشبيلى » وكشف الظنون ص ١٢٠٣ ، والمعجم العربى للدكتور حسين نصار ص ٥٠ ، وما بعدها . وانظر أيضاً ماذكره المصنف فى مقدمة النهاية ، وما ذكره فى كتابه جامع الأُصول ١/٦٦ .

(١) اكتشفتُ من هذا الكتاب مخطوطة نفيسة جداً بمكتبة الشيخ محمد سرور الصبان الخاصة ، بمكة المكرمة ، وصوَّرتها لمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، وذلك فى سنة ١٣٩٣ ، وقد طبع بالموصل سنة ١٩٨٢م بتحقيق نورى القيسى وحاتم الضامن ، ثم طبع بالقاهرة سنة ١٩٩٤م بتحقيق النبوى عبد الواحد شعلان .

وُلد مجد الدين [1] فى أحد الربيعين ، سنة (٥٤٤) بجزيرة ابن عمر ، وهى بلدة فوق الموصل ، بينهما ثلاثة أيام . وقد ذكر ابن تَغْرِى بَرْدِى فى النجوم الزاهرة أنه ولد سنة (٥٤٠) ، وقد تفرَّد بهذا القول ، وليس بشىء .

نشأ ابن الأثير بجزيرة ابن عمر ، ثم انتقل إلى الموصل سنة (٥٦٥) ، فجالس علماءها وأخذ عنهم ، وقد حُبِّب إليه العلمُ ومجالسةُ العلماء ، قال رحمه الله فى مقدمة كتابه « جامع الأصول من أحاديث الرسول » ﷺ : « ما زلت منذ ريعان الشباب وحداثة السِّنّ ، مشغوفاً بطلب العلم ومجالسة أهله ، والتشبه بهم حسَب الإمكان ، وذلك من فضل الله علىَّ ولطفه بى ، أن حبَّبه إلىّ ، فبذلت الوُسْع فى تحصيل ما وُفّقت له من أنواعه ، حتى صارت فىَّ قوّةُ الاطلاع على خفاياه ، وإدراك خباياه ، ولم آلُ جهداً – والله الموفّق – فى إكمال الطلب وابتغاء الأرَب ، إلى أن تشبثت من كلٍّ بَطرَف ، تشبهت فيه بأضرابى ، ولا أقول تميزت به على أترابى ، فلله الحمدُ على ما أنعم به من فضله وأجزل به من طولِه » .

---

(١) ترجمته فى إنباه الرواة ٢٥٧/٣ – ٢٦٠ ، البداية والنهاية ٥٤/١٣ ، بغية الوعاة ٢٧٤/٢ ، ٢٧٥ ، ذيل الروضتين ص ٦٨ ، روضات الجنات ص ٥٨٥ – ٥٨٧ ، شذرات الذهب ٢٢/٥ ، ٢٣ ، طبقات الشافعية للإسنوى ١٣٠/١ – ١٣٢ ، طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكى ٣٦٦/٨ ، ٣٦٧ ، العبر ١٩/٥ ، الكامل ٢٨٨/١٢ (وفيات سنة ٦٠٦) المختصر لأبى الفدا ١١٢/٣ ، ١١٣ مرآة الجنان ١١/٤ – ١٤ ، معجم الأدباء ٧١/١٧ – ٧٧ ، مفتاح السعادة ١٢٨/١ ، ١٢٩ ، النجوم الزاهرة ١٩٨/٦ ، ١٩٩ ، وفيات الأعيان ١٤١/٤ – ١٤٣ ، وهدية العارفين ٢/٢ ، ٣ ، والأعلام ١٥٢/٦ ، ومعجم المؤلفين ١٧٤/٨ .

وقد ترجم له أيضاً ابن الشَّعَّار الموصلى فى كتابه « عقود الجمان فى شعراء هذا الزمان » الجزء السادس من مخطوطة أسعد أفندى باستانبول . ومن هذه المخطوطة صورة بمعهد المخطوطات ، برقم (٣٣٩) تاريخ .

وقد تَلْمَذ ابنُ الأثير لطائفة من علماء عصره ، فسمع الحديث بالموصل من جماعة ، منهم خطيب الموصل ، أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد الطوسى المتوفى سنة (٥٧٨) [١] .

وقدم بغدادَ حاجّاً فسمع بها من أبى القاسم يعيش بن صدقة بن على الشافعى المعروف بصاحب ابن الخَلّ ، المتوفى سنة (٥٩٣) [٢]

وسمع بها أيضاً من ابن كُلَيب ، وهو أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهّاب بن سعد الحَرّانى ثم البغدادى الحنبلى التاجر المتوفى سنة (٥٩٦) [٣] .

وببغداد سمع كذلك من مسند العراق ومحدّثه ضياء الدين عبد الوهّاب بن على الصوفى الفقيه الشافعى المعروف بابن سُكَينة – وسكينة جدّته أم أبيه – المتوفى سنة (٦٠٧) [٤] .

وقرأ الأدب والنحو على ناصح الدين أبى محمد سعيد بن المبارك ابن على بن الدهّان البغدادى النحوى المتوفى سنة (٥٦٩) [٥] ، وقد شرح ابن الأثير كتابه « الفصول » كما سيمرّ عليك قريباً إن شاء الله .

وقرأ النحو أيضاً على أبى الحرم مكىّ بن ريّان بن شَبّة بن صالح الماكسينى النحوى الضرير ، نزيل الموصل ، المتوفى سنة (٦٠٣) [٦] .

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٧/١١٩ ، وتذكرة الحفاظ ٤/١٣٤١ .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٧/٣٣٨ ، وقد كنت قلت فى تقدمتى للنهاية ص ١٥ إننى لم أعرف ترجمة لأبى القاسم هذا ، وهذه ترجمته قد دللتك على مكانها .

(٣) وفيات الأعيان ٣/٢٢٧ ، وشذرات الذهب ٤/٣٢٧ .

(٤) طبقات الشافعية الكبرى ٨/٣٢٤ .

(٥) إنباه الرواة ٢/٤٧ ، وبغية الوعاة ١/٥٨٧ .

(٦) إنباه الرواة ٣/٣٢٠ ، وبغية الوعاة ٢/٢٩٩ .

وأخذ النحو وسمع الحديث من أبى بكر يحيى بن سعدون بن تمّام ابن محمد الأزدى القرطبى النحوى اللغوى المقرىء الأديب المتوفى بالموصل سنة (٥٦٧) [١] .

وقد روى عن ابن الأثير رحمه الله جماعةٌ ، منهم ولده[٢] ، والشِّهاب الطُّوسى ، وهو أبو الفتح محمد بن محمود بن محمد ، نزيل مصر ، وشيخ الشافعية بها ، المتوفى سنة (٥٩٦) [٣] .

وروى عنه أيضاً الوزير القِفطى صاحب « إنباه الرواه » ، قال فى موضع ترجمته المذكوره : « ورويت عنه رحمه الله » ، ثم قال : « كتب إلىَّ الإجازة بجميع مصنَّفاته ومسموعاته ومرويّاته » .

وآخِر من روى عنه بالإجازة : فخر الدين بن البُخارى ، وهو أبو الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد المتوفى سنة (٦٩٠) [٤] .

وقد أثنى المؤرخون على مجد الدين بن الأثير ثناء حسناً ، فقال أخوه عز الدين : « كان عالماً فى عدّة علوم ، مبّرزاً فيها ، منها الفقه والأصولان [٥] والنحو والحديث واللغة ، وله تصانيفُ مشهورة فى التفسير والحديث والنحو والحساب وغريب الحديث ، وله رسائل مدّونة .

---

(١) طبقات القراء لابن الجزرى ٣٧٢/٢ ، وبغية الوعاة ٣٣٤/٢ .

(٢) هكذا قال ابن السبكى ، ولم يذكر اسمه .

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٣٩٦/٦ ، وشذرات الذهب ٣٢٧/٤ .

(٤) طبقات الشافعية الكبرى ٣٤٤/٨ .

(٥) أى أصول الدين وأصول الفقه .

وكان كاتباً مفلقاً ، يُضرب به المثل ، ذا دين متين ، ولزوم طريقٍ مستقيم ، رحمه الله ورضى عنه ، فلقد كان من محاسن الزمان . ولعلّ مَن يقف على ماذكرته يتّهمنى فى قولى ، ومن عرفه من أهل عصرنا يعلم أنى مقصِّر » .

وقال ياقوت : « كان عالماً فاضلاً ، وسيداً كاملاً ، قد جمع بين علم العربية والقرآن والنحو واللغة والحديث وشيوخه ، وصحته وسقمه ، والفقه ، وكان شافعياً » .

وقال ابن خلّكان ، فيما حكى عنه الإسنوى [1] : « كان فقيهاً محدِّثاً ، أديباً نحوياً ، عالماً بصنعة الحساب والإنشاء ، ورعاً عاقلاً مهيباً ، ذا برٍّ وإحسان » .

وقال ابن السبكى : « كان فاضلاً رئيساً ، مشاراً إليه » .

ولهذه الفضائل التى اجتمعت لابن الأثير اتّجه إليه الحكّام ، ورَتَّبوا له الوظائف ليفيدوا من عِلمه وفضله .

قال ياقوت : « حدثنى أخوه أبو الحسن ، قال : تولى أخى أبو السعادات الخِزانةَ لسيف الدين الغازى بن مودود بن زنكى ، ثم ولّاه ديوان الجزيرة وأعمالها ، ثم عاد إلى الموصل ، فناب فى الديوان عن الوزير جلال الدين أبى الحسن على بن جمال الدين محمد بن منصور الأصبهانى ، ثم اتصل بمجاهد الدين قايماز [وكان نائبَ المملكة] [2]

---

(١) الموضع السابق من طبقات الشافعية ، ولم أجد كلام ابن خلكان هذا فى كتابه « وفيات الأعيان » المطبوع .

(٢) زيادة من وفيات الأعيان .

بالموصل ، فنال عنده درجة رفيعة ، فلما قُبض على مجاهد الدين سنة (٥٨٩) اتصل بخدمة الأتابك عز الدين مسعود بن مودود [وولى ديوان الإنشاء له] [١] إلى أن توفى عزّ الدين ، فاتصل بخدمة ولده نور الدين أرسلان شاه ، فصار واحدَ دولته حقيقة ، بحيث إن السلطان كان يقصد منزله فى مهامّ نفسه ؛ لأنه أقعد فى آخر زمانه ، فكانت الحركة تصعب عليه ، فكان يجيئه بنفسه ، أو يرسل إليه بدر الدين لؤلؤ الذى هو اليوم أمير الموصل » .

وكان مجد الدين رحمه الله ذا دين متين ، كما وصفه أخوه عز الدين ، فلم تبهره أضواء الحكم ، ولم تثنه عما أخذ به نفسه من الدرس والتحصيل ، وقد أراد نور الدين المذكور أن يستخلصه لنفسه ، فعرض عليه الوزارة غير مرة فرفضها ، وهى منصب خطير تعشو إليه الأنظار وتعنو له الجباه .

قال ياقوت : « حدثنى أخوه المذكور ، قال : حدثنى أخى أبو السعادات ، قال : لقد ألزمنى نور الدين بالوزارة غير مرة وأنا أستعفيه ، حتى غضب منى وأمر بالتوكيل بى . قال : فجعلت أبكى ، فبلغه ذلك ، فجاءنى وأنا على تلك الحال ، فقال لى : أبَلَغ الأمرُ إلى هذا ؟ ماعلمت أن رجلاً ممّن خلق الله يكره ماكرهت ! فقلت : أنا يامولانا رجلٌ كبير ، وقد خدمت العلم عمرى ، واشتهر ذلك عنى فى البلاد بأسرها ، وأعلمُ أننى لو اجتهدت فى إقامة العدل بغاية جهدى ماقدرت أؤدى حقَّه ، ولو ظُلم أكَّار [٢] فى ضيعة من أقصى أعمال السُّلطان

---

(١) زيادة من طبقات الشافعية .

(٢) الأكار : الحراث الذى يحرث الأرض .

لنسب ظُلمه إلىَّ ، ورجعتَ أنت وغيرُك باللائمة علىّ ، والمُلْك لا يستقيم إلا بالتَّسَمُّح فى العَسْف ، وأخْذ هذا الحق بالشدّة ، وأنا لا أقدر على ذلك . فأعفاه ، وجاءنا إلى دارنا فخبّرنا بالحال ، فأما والده وأخوه فلاماه على الامتناع ، فلم يؤثر اللومُ عنده أسفا » .

وهكذا سارت حياة أبى السعادات بين عُزوف عن الدنيا ، وإقبال على العلم ، ورغبة فى المعرفة ، واستكثار من الخير والبرّ ، حتى عرض له مرض النِّقْرس ، فأبطل حركةَ يديه ورجليه ، بحيث صار يُحْمَل فى مَحَفَّة ، ولقد قابل رحمه الله هذه المحنة بقلب راضٍ ونفْسٍ مطمئنة ، ورأى فيها الفرصة للبعد عن ضوضاء الناس ولهوهم ، والفراغ إلى الدرس والتصنيف .

قال ابن خلكان [١] : « حكى أخوه عز الدين أبو الحسن علىٌّ ، أنه لما أُقعد جاءهم رجل مغربى ، والتزم أنه يداويه ويبرئه مما هو فيه ، وأنه لايأخذ أجراً إلاّ بعد بُرْئه ، فمِلنا إلى قوله ، وأخذ فى معالجته بدُهْنٍ صنعه ، فظهرت ثمرة صنعته ، ولانت رجلاه ، وصار يتمكن من مدّهما ، وأشرف على كمال البُرْء . فقال لى : أعط هذا المغربىَّ شيئاً يرضيه واصرفه ، فقلت له : لماذا وقد ظهر نُجْحُ معاناته ؟ فقال : الأمر كما تقول ، ولكنى فى راحة مما كنت فيه من صحبة هؤلاء القوم والالتزام بأخطارهم ، وقد سكنت رُوحى إلى الانقطاع والدَّعَة ، وقد كنت بالأمس وأنا مُعافىً أُذِلّ نفسى بالسَّعى إليهم ، وهنا أنا اليوم قاعدٌ فى

---

(١) الموضع السابق من وفيات الأعيان . وقد حكى هذه القصة بهاء الدين العاملى فى الكشكول ١/٣٣ .

منزلى ، فإذا طرأت لهم أمورٌ ضرورية جاءونى بأنفسهم لأخذِ رأيى ، وبين هذا وذاك كثير ، ولم يكن سبب هذا إلا هذا المرض ، فما أرى زواله ولا معالجته ، ولم يبق من العمر إلا القليل ، فدعنى أعيش باقيه حرّاً سليماً من الذلّ ، وقد أخذت منه أوفرَ حظ [1] .

قال عز الدين : فقبلت قوله وصرفت الرجل بإحسان » .

وهكذا لزم الرجل بيته صابراً محتسباً يغشاه الأكابر ، ويحفِد إليه العلماء ، يقبسون من علمه ، وينهلون من فيضه ، وكان آجره الله قد أنشأ رِباطاً بقرية من قرى الموصل ، تسمى « قصر حرب » ووقف أملاكه عليه وعلى داره التى كان يسكنها بالموصل ، ووقف داره على الصوفية .

قال ابن خلكان : « وبلغنى أنه صنف هذه الكتب كلَّها فى مدّة العطلة ، فإنه تفرغ لها ، وكان عنده جماعة يعينونه عليها فى الاختيار والكتابة » .

وفى يوم الخميس سلخ ذى الحجة سنة (٦٠٦) فاضت روحه الطاهرة ، وصعدت إلى بارئها راضية مرضية ودفن برباطه بدرب درَّاج داخل البلد . رحمه الله رحمة سابغة ، وجزاه بما يجزى به عباده المخلصين .

قال القِفْطى : « ذكر لى أخوه أبو الحسن علىٌّ أنه رآه بعد موته أن نجاسة قد آذته . قال : فاستقصيت وبحثت عن صحة هذه الرؤيا ، فوجدت أحد الأهالى قد أطلق غنماً له فوق سطح الصُّفَّة التى

---

(١) انظر شبيه هذا فى ترجمة عبد الملك الطبرى ، نزيل مكة المكرمة ، من طبقات الشافعية الكبرى ١٩١/٧ .

هو فيها مدفون ، وقد كثر ما يخرج من أجوافها فوق ذلك ، فأزلته ونظفته مما حصل فيه » .

مصنفاته :

ترك مجد الدين ابن الأثير طائفة من المؤلَّفات القّيمة ، تشهد بثقافته الواسعة ، وعلمه الغزير . وهذا تعريف بمصنفاته ، مخطوطها ومطبوعها ، وما لم يذكر عنه شيء فهو مما ذكرته مصادر ترجمته فقط :

١ - الإنصاف فى الجمع بين الكشف والكشاف (١)

قال ياقوت : أربع مجلدات .

٢ - الباهر فى الفروق

فى النحو : ذكره ياقوت والسيوطى ، وهو عند ابن السبكى باسم : الفروق والأبنية .

٣ - البديع

فى النحو . ذكره ياقوت والقِفْطى والسيوطى . وذكره ابن خلكان وابن السبكى وابن تَغْرى بَرْدِى باسم : « البديع فى شرح الفصول لابن الدهان » .

---

(١) الكشف والبيان فى تفسير القرآن ، لأبى إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى النيسابورى المتوفى سنة (٤٢٧) ، ومخطوطات هذا الكتاب كثيرة ، منها نسخة نفيسة جداً ، كتبت فى أوائل القرن السابع بمدينة الفيوم من ديار مصر - حرسها الله - وهذه النسخة محفوظة بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة ، على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام ، وقد رأيت هذه النسخة سنة ١٣٩٣ ، وصورتها لمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .
والكشاف لجار الله الزمخشرى المتوفى سنة (٥٣٨) .

قال ياقوت : « نحو الأربعين كراسة ، وقال : وقفني عليه [أخوه عز الدين ابن الأثير] فوجدته بديعاً كاسمه ، سلك فيه مسلكاً غريباً ، وبوَّبه تبويباً عجيباً » .

وقد أخبرنى أخى الشيخ عبد الرحمن العثيمين ، المعيد بكلية الشريعة بمكة المكرمة أنه رأى من هذا الكتاب نسخة مخطوطة بإحدى المكتبات بمدينة استانبول . صانها الله من الآفات .

٤ – تجريد أسماء الصحابة

ذكره الأستاذ الزركلى . رحمه الله رحمة واسعة . والكتاب بهذا العنوان معروف للحافظ الذهبى المتوفى سنة (٧٤٨) وهو مطبوع بالهند .

٥ – تهذيب فصول ابن الدهان

ذكره ياقوت والسيوطى ، وهو فى النحو أيضاً .

٦ – جامع الأصول فى أحاديث الرسول

قال ياقوت : « جمع فيه بين البخارى ومسلم والموطأ وسنن أبى داود وسنن النَّسائى والترمذى ، عمله على حروف المعجم ، وشرح غريب الأحاديث ومعانيها وأحكامها ، ووصف رجالها ، ونبَّه على جميع مايحتاج إليه منها .... ثم قال : أقطع قطعاً أنه لم يصنَّف مثله قطّ ولا يصنَّف » .

وقد طبع فى القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٣٦٨ – ١٩٤٩ ، فى اثنى عشر جزءاً ، بعناية الشيخين عبد المجيد سليم وحامد الفقى ، وهى طبعة ناقصة ، ثم أعيد نشره كاملاً بتحقيق الأستاذ عبد القادر الأرناؤوط ، بدمشق سنة ١٣٩٤ – ١٩٧٤ ، فى أحد عشر جزءاً ، وهى طبعة جيدة ،

ناقصة ، ثم أعيد نشره كاملًا بتحقيق الأستاذ عبد القادر الأرناؤوط ، بدمشق سنة ١٣٤٩ - ١٩٧٤ ، فى أحد عشر جزءًا ، وهى طبعة جيدة [١]

٧ - الجواهر واللّآل من إنشاء المولى الجلال

ذكرها ابن الشَّعَّار الموصلى فى عقود الجمان ، وإسماعيل البغدادى فى هدية العارفين ، قال ابن الشعار : وجمع رسائل الوزير جلال الدين أبى الحسن ، كتاباً ، وسماه : الجواهر واللّآل من إنشاء المولى الجلال .

٨ - ديوان رسائل

قال ابن الشّعّار ، وهو يعدّد تصانيف ابن الأثير : ورسائل مدونة فى مجلدتين ، عنى بجمعها أبو محمد إسماعيل بن على الكاتب الخُضَيْرى [٢] ، وترجمها بالدر المنثور .

٩ - رسائل فى الحساب مجدولات

ذكرها ياقوت .

١٠ - الشافى ، شرح مسند الشافعى

ويسمى : شافى العىّ بشرح مسند الشافعىّ

---

(١) وقفت على عدة أجزاء مخطوطة نفيسة من هذا الكتاب ، محفوظة بمكتبة الجامع الكبير بمدينة صنعاء ، وقد صورتها سنة ١٣٩٤ ، وهى مودعة الآن بمعهد المخطوطات بالقاهرة . ولعل الأستاذ الأرناؤوط يستفيد من هذه الأجزاء فى طبعته الثانية إن شاء الله .

(٢) كان فاضلاً أديباً ، توفى ببغداد سنة ٦٠٣ . راجع الأعلام ٣١٦/١ .

قال ياقوت : « أبدع فى تصنيفه ، فذكر أحكامه ولغته ونحوه ومعانيه ، نحو مائة كراسة » .

منه نسخة بدار الكتب المصرية ، برقم (٣٠٦) حديث فى أربع مجلدات ، ونسخة أخرى فى مجلد واحد ، برقم (١١٨٤ – ٢٢ ب)

شرح غريب الطِّوال

ذكره ابن السبكى : وهو كتاب « منال الطالب » الذى نُقدّم له

١١ – صناعة الكتاب

هكذا سماه إسماعيل باشا البغدادى ، وهو عند ابن خلكان وابن تغرى بردى باسم : « كتاب لطيف فى صنعة الكتابة » . وهذا وصف لا عنوان .

الفروق والأبنية

هكذا سماه ابن السبكى . وهو « الباهر فى الفروق » . وسبق .

١٢ – المختار فى مناقب الأخيار – أو الأبرار

ذكره ياقوت ، وقال : « أربع مجلدات » منه نسخة بليدن ، برقم (١٠٩٠) ، كما يوجد النصف الثانى منه بمكتبة فيض الله باستانبول ، برقم (١٥١٦) [1] ، ومنه صورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة ، ومنه نسخة مكتوبة سنة ٧٤٨ ، بمكتبة تشستربتى ، رقم ٣٤٤١

---

(١) تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ٣٥٧/١ ، وملحق الجزء الأول ص ٦٠٧ .

١٣ – المرصَّع فى الآباء والأمهات ، والأبناء والبنات والأذواء والذوات

ذكره ياقوت وابن السبكى والسيوطى . قال ياقوت : « مجلد » . وقال السيوطى : وقفت عليه ، ولخّصت منه الكُنَى فى كراسة » .

طبع هذا الكتاب أول ماطبع فى « ويمار » سنة ١٨٩٦ م ، بعناية « سيبولد » الألمانى ، فى ٢٦٧ ص من القطع الصغير (١) . ثم أعاد نشره وتحقيقه الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائى ، فى بغداد سنة ١٣٩١ – ١٩٧١ .

١٤ – المصطفى والمختار فى الأدعية والأذكار

ذكره ابن خلكان وابن تَغْرِى بَرْدِى وابن السبكى وابن العماد الحنبلى .

١٥ – منال الطالب فى شرح طِوال الغرائب

وهو هذا الذى نُقَدِّم له .

١٦ – النهاية فى غريب الحديث والأثر

أشهر كتب ابن الأثير على الإطلاق . وقد طبع عدة طبعات . آخرها الطبعة التى نشرتُها سنة ١٣٨٣ – ١٩٦٣ ، فى خمسة أجزاء بمطبعة عيسى البابى الحلبى بالقاهرة . وقد سطا على هذه الطبعة مصوِّرو الكتب

---

(١) معجم المطبوعات العربية لإليان سركيس ص ٣٤ ، ٣٥ .

فى بيروت ، وأصدروا منها طبعتين [١] ،ففوّتوا بذلك علىّ فرصة استدراك مافرط منى من هَناتٍ وزَلاّت ، فلقد كان عملى فى هذا الكتاب من أوائل اشتغالى بالعلم . لكنى أحمد الله أن وفقنى لصنع فهارسَ جامعةٍ لذلك الكتاب العظيم . وفى هذه الفهارس خيرٌ كثير إن شاء الله .

هذا الكتاب

لا أعلم لهذا الكتاب سَمِيًّا فى مناهج [٢] من صنَّفوا فى غريب الحديث ، فقد جرَّد ابن الأثير الأحاديث الطويلة المأثورة عن رسول الله ﷺ ، والصحابة والتابعين ، رضوان الله عليهم أجمعين – جرَّد ابن الأثير هذه الأحاديث من كتب السنّة والسِّيرة ، وأفرد لشرحها هذا الكتاب .

وقد قسم ابن الأثير الكتاب إلى قسمين : الأول فى أحاديث رسول الله ﷺ ، مما له فيه كلامٌ أو ذكرٌ سِيق الحديثُ له ، أو بُنِى عليه . ومعظم أحاديث هذا القسم يدور على أحاديث الوفود التى وفدت على رسول الله ﷺ وأحاديث المولد والمبعث ، ودلائل النبوة ، وخصائصه ﷺ .

والقسم الثانى فى آثار جماعة من أصحابه وبعض التابعين لهم بإحسان رضى الله عنهم أجمعين .

منهج ابن الأثير فى إيراد الأحاديث وشرحها

صدَّر ابن الأثير كتابه بمقدمة كاشفة ، أبان فيها عن منهجه

---

(١) بل زادت طبعات الكتاب المصوَّرة على العشر ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .
(٢) راجع ماسبق فى صدر مقدمة التحقيق .

وسبيله فى اختيار الأحاديث وشرحها ، ويبقى أن أذكر أشياء حول هذا المنهج ، تكشف عن خصائصه ، ثم تُنزل الكتاب منزلته من كتب العربية ، فأقول وبالله التوفيق :

جرى ابن الأثير على أن يورد الحديث كاملاً ، ثم يذكر فى آخره مَن أخرجه من علماء الحديث والغريب ، ويعقّب بما قيل فى الحديث جرحاً وتعديلاً ، وقبولا وردّاً (١) .

وكثير من هذه الأحاديث الطِّوال قد تكلم فيها علماء الجرح والتعديل ، وضعَّفوا طُرُقَها ووهَّنوا رُواتَها ، ولم يغب هذا عن ابن الأثير ، وهو المحدّث الكبير ، صاحب « جامع الأصول » وشارح « مسند الشافعى » . فيقول فى آخر حديث قُسّ بن ساعدة الإيادى : « حديث قس بن ساعدة على كثرة رواياته واختلاف طرقه ، حديث مشهور متداوَل بين رواة الحديث وأئمته ، وقد ذكر بعض الحفّاظ أنه موضوع .

فأما الرواية الأولى فهى معروفة بمحمد بن الحجّاج اللخمى ، عن مجالد بن سعيد عن الشَّعبى عن ابن عباس ، وقد أخرجها أبو القاسم البغوى ، وأبو القاسم الطبرانى وغيرُهما .

وأما الرواية الثانية فمعروفة من رواية بشر بن نُمَير ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس . قال أبو موسى : وهو غريب من هذا الوجه ، وقد روى عن ابن عباس من غير وجه ، وروى عن أنس بن مالك وأبى لُبابة ، وكأن ألفاظها مصنوعة ملفَّقة ، لكن هكذا يُروى ، على أنا قد تركنا بعض ألفاظه التى أطالوه بها اختصارا ، والله أعلم » .

---

(١) وماسكت عنه ابن الأثير ، أو اختصر فيه القول ، حاولْت أن أذكر آراء العلماء فيه ، على ضعف مُنَّتى وقلّة بضاعتى فى هذا الشأن ، وسترى ذلك حين تأتى قراءتك على حواشى الكتاب إن شاء الله – انظر مثلاً ماذكرته فى التعليق على حديث قس بن ساعدة .

وأبين من هذا فى الدلالة على رأى ابن الأثير فى الأحاديث الطِّوال ماذكره فى آخر حديث فَدَك ، عن السيدة فاطمة الزهراء ، رضى الله عنها .

قال رحمه الله : « هذا الحديث أكثر مايُروى من طريق أهل البيت وإن كان قد رُوى من طرقٍ أخرى أطولَ من هذا وأكثر ، وأهل الحديث يقولون إنه موضوع على فاطمة .

وقال ابن قتيبة : قد كنت كتبته وأنا أرى أنّ له أصلاً ، وسألت عنه رجالَ الحديث ، فقال لى بعضُ نقلة الأخبار : أنا أسَنُّ من هذا الحديث ، وأعرِفُ مَن عَمِله .

قلت : هذا الحديثُ وإن كان موضوعاً كما ذكر ، فهو من أفصح الكلام وأحسنِه مأْخَذاً واحتجاجاً ، ولعل واضعه لا ينقص درجةً عن الحجاج بن يوسف الثقفى ، وكُتُبُ غريب الحديث مشحونةٌ بشرح كلامه وخُطبه ، فلا بأس أن يُجرى هذا الحديث مجراها فى شرح غريبه ومعانيه ، ولعلّ أكثر مايروى من أحاديث الغريب الطّوال جاريةٌ هذا المجرى فى التصنُّع . والله أعلم » .

وهذا الكلام صريح الدلالة على أن الغاية التى تَغيَّاها ابن الأثير مِن وضع هذا الكتاب إنما هى غاية لغوية . وهذا شأن كتب غريب الحديث ، تدور كلها فى فلك اللغة : معانى واشتقاقا ودلالات ، إلا ماقد تراه عند الإمام الجليل أبى عبيد القاسم بن سلّام ، من آراءٍ فقهية نثرها فى كتابه « غريب الحديث » .

وقد يزيد هذا الأمرَ وضوحاً ماذكره فى آخر أحاديث على بن أبى

طالب كرَّم الله وجهه ، فقد أورد له أحد عشر حديثاً ، ثم قال فى آخرها : « كلام على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - الكثير الغريب ، كثير ، وقد أوردنا منه هذه الأطراف اليسيرة مناسبة لما أودعناه فى هذا الكتاب من الاختصار ، ومن أراد الوقوف على كلامه فليطلبه من مظانّه » .

فابن الأثير رحمه الله إنما استكثر من حديث على بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، لما اشتمل عليه من غريب اللغة ، ليس غير .

على أن ابن الأثير قد يشرح بعض الأحاديث ، لالغريب ألفاظها ، بل لإشكال معناها ، كما صنع فى حديث معاوية بن أبى سفيان وحواره مع عبد الله بن الزبير ، رضى الله عنهم ، فإنه قال فى آخر ذلك الحديث : « أخرجه القتيبى ، وإنما ذكرناه مع قلّة غريبه لإشكال معناه » .

ومما يتصل بالمعانى ماذكره فى حديث وائل بن حُجْر الحضرمى ، من اختلاف أبى حنيفة والشافعىّ ، رضى الله عنهما ، فى مسألة الخِلاط فى الزكاة .

ومنه أيضاً توفيقه بين الأحاديث التى قد تبدو متعارضة ، كما تراه فى حديث صفة النبىّ ﷺ ، المروىّ عن هند بن أبى هالة ، وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه .

النحو فى الكتاب

عرض ابن الأثير لمسائل كثيرةٍ من علم النحو ، توجيهاً وإعرابا ، وترى ذلك فى أحاديث ذى المشعار مالك بن نمط الهمدانى ،

والاستسقاء ، ولقمان بن عاد ، ولقيط بن عامر العُقَيلى ، وابن زِمْل الجهنى ، وقسّ بن ساعدة الإيادى ، وأبى بكر الصديق ، وحديث عائشة بنت أبى بكر الصِّديق ، المتضمّن حديث أم زَرْع .

وقد رأيته يجرى على قواعد البصريين ، ومن ذلك توجيهه لقوله تعالى : « وما منّا إلاّ له مقامٌ معلوم » بأنه على حذف الموصوف ، وقد أثبتّ فى تعليقاتى أن هذا هو رأى البصريين [1] .

الشواهد الشعرية فى الكتاب

ابن الأثير مقلٌّ من الاستشهاد بالشعر ، ترى ذلك فى هذا الكتاب ، كما تراه فى كتابه « النهاية » . مع أن أبا عبيد وابن قتيبة والخطّابى – وهم الروّاد الأوائل فى علم غريب الحديث – قد استكثروا فى كتبهم من شواهد الشعر .

وقد ترك ابن الأثير أبياتاً ذوات عدد دون نسبة ، كما اضطرب فى نسبة هذا الشاهد :

إذا قصُرت أسيافُنا كان وَصْلُها   خُطانا إلى أعدائنا فنُضارِبِ

فنسبه فى الحديث العاشر من أحاديث على بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، إلى قيس بن الخطيم ، على حين نسبه فى حديث الحجاج بن يوسف الثقفى إلى ابن حِطّان ، وسأتكلم عليه فى موضعه من التحقيق إن شاء الله .

---

(١) انظر حديث جرير بن عبد الله البجلى ، رضى الله عنه .

موارد ابن الأثير فى الكتاب

أفاد ابن الأثير من جهود العلماء الذين سبقوه إلى التصنيف فى غريب الحديث ، وصرَّح بالنقل عنهم ، وذكر فى آخر كلّ حديث مَن أخرجه منهم ، ثم ذكر من الكتب :

الصحيحين للبخارى ومسلم ، والطبقات الكبرى لابن سعد ، والمغازى لمحمد بن إسحاق ، والسيرة لعبد الملك بن هشام ، والمعجم الكبير للطبرانى ، ومعجم الحافظ أبى أحمد العسّال [١] ، والإكمال لابن ماكولا ، والحلية لأبى نعيم الأصبهانى ، وما قالت القرابة فى الصحابة ، والمؤتلف والمختلف ، كلاهما للدار قطنى .

وقد رأيت ابن الأثير يدور فى فلك أربعة من العلماء : ابن قتيبة والخطابى والزمخشرى وأبى موسى المدينى الأصبهانى [٢] . وقد أفاد ابن الأثير من كتب هؤلاء العلماء فى غريب الحديث إفادة بالغة ، وعوَّل عليهم كثيرا .

ونعم يذكر ابن الأثير فى آخر حديث طهفة بن أبى زهير النهدى ، أنه وجد فيه زيادة لم يجدها فى كتب هؤلاء الأربعة ، ثم وجدته أنا قد زاد على ماذكره ابن قتيبة والزمخشرى فى الرواية والشرح [٣] ، لكنْ تظل كتب هؤلاء الأعلام العمادَ والأساسَ لكتاب ابن الأثير .

---

(١) نقل عنه من طريق الحافظ أبى موسى المدينى الأصبهانى . (انظر حديث أم معبد) .

(٢) وقد كان كتاب أبى موسى المسمى (المغيث فى غريبى القرآن والحديث) أحد كتابين أدار عليهما ابن الأثير كتابه (النهاية) ورمزه هناك (س) ، والكتاب الثانى هو كتاب (الغريبين) لأبى عبيد الهروى ، ورمزه هناك (هـ) وقد أفاد ابن الأثير من الغريبين أيضاً فى (منال الطالب) .

(٣) راجع حديث وائل بن حجر ، وحديث ابن زمل الجهنى .

ويُعدّ ماحكاه ابن الأثير عن (غريب الحديث) لابن قتيبة ، توثيقاً مهماً له ، فقد أورد أربعة أحاديث فى الجزء الأول ، وذكر أن ابن قتيبة أخرجها فى كتابه ، وهى أحاديث : طهفة بن أبى زهير النهدى ، وقطن ابن حارثة واستسقاء النبىّ ﷺ ، وكتاب قريش والأنصار .

ولم أجد هذه الأحاديث فى (غريب الحديث) لابن قتيبة الذى حققه ونشره الأخ الأستاذ الدكتور عبد الله الجبورى ، ببغداد سنة ١٣٩٧ - ١٩٧٧ .

ومعروف أنه لاتوجد نسخة كاملة من غريب ابن قتيبة هذا ، ونشرة الأخ الدكتور الجبورى إنما هى عن أجزاء من نسخ مختلفة .

وهذا الذى حكاه ابن الأثير عن ابن قتيبة يدّل على أن هناك نقصاً فى الكتاب ، وبخاصة فى الجزء الأول المتضمن أحاديث رسول الله ﷺ (١) .

وليس ابن الأثير وحده هو الذى ذكر أن ابن قتيبة قد أخرج حديثى طهفة بن أبى زهير ، وقطن بن حارثة ، فقد ذكر ذلك أيضاً أبو عبيد الهروى فى (الغريبين) والحافظ ابن حجر العسقلانى فى (الإصابة) وقد أشرت إلى ذلك فى موضعه من التحقيق .

ابن الأثير والزمخشرى

الزمخشرى إمامٌ من أئمة العربية ، وكتابه (الفائق) من أصول علم

---

(١) لقد أحسن الأخ الدكتور عبد الله الجبورى كلّ الإحسان حين جمع أجزاء هذا الكتاب العظيم من مختلف مكتبات العالم ، ثم أقام عليه درساً علمياً للدكتوراه ، وحققه تحقيقاً جيداً ، ولعل الله ييسر له نسخة كاملة من الكتاب .

غريب الحديث ، وقد أثنى عليه ابن الأثير فى مقدمة (النهاية) ، فقال : « لقد صادف هذا الاسمُ مُسَمَّى وكشف من غريب الحديث كلَّ مُعَمَّى » .

وقد أفاد منه ابن الأثير كثيراً فى كتابيه (النهاية) و (منال الطالب) مصرّحاً بالأخذ عنه ، غير أنى رأيته فى مواطِنَ كثيرةٍ جدّاً يستاق كلام الزمخشرى ، دون أن يصرّح بالنقل منه والعَزْو إليه ، وهذا فاشٍ مستفيضٌ فى (النهاية) ، لكن الذى يعنينا هنا أخذه فى (المنال) .

لقد أودع ابن الأثير كتابه هذا كثيراً من شروح الزمخشرى وتوجيهاته التى سلخها من (الفائق) ، ولا سبيل إلى ذكر كلٍّ ماوقعت عليه ، فهو إلى الكثرة ماهو ، وإنما أكتفى ببعض الأمثلة :

ماتراه فى شرح حديث طهفة بن أبى زهير النهدى ، وكذلك ماذكره فى توجيه التأنيث فى « مطهرة » من حديث لقيط من عامر العُقَيلى ، ومثلهما مافى حديث لقمان بن عاد ، وأم معبد . وقد نبّهت على ذلك فى حواشى التحقيق .

على أنى وجدت ابن الأثير يغير على شرح الزمخشرى كلّه فى بعض الأحاديث ، مع تغيير بعض عبارات الزمخشرى الجاسية [1] الموغِلة فى الغرابة إلى ألفاظ مألوفة مأنوسة . فمن ذلك :

يقول الزمخشرى فى حديث « لقمان بن عاد » : أراد أن عيشه عيش الصعاليك ، إن ظفر بشىء ألْمأ عليه ، وإلاّ فهو موّطنٌ نفسه على معاناة خشونة الحال وشَظَف العيش .

---

(١) أى الصلبة يقال : جسا ، أى صلب . ومن تعبيراتهم القديمة : « فى ألفاظ فلانٍ جُسُوٌّ ونكارة » .

ويقول ابن الأثير : أراد أن عيشه عيش الصعاليك ، إن ظفر بشيء أخذه ، وإلاّ فهو موَطِّنٌ نفسه على معاناة خشونة الحال وشدة العيش [1] .

أرأيتَ إلى « ألمأ » و « أخذ » و « شظف » و « شدة » ؟

ويقول الزمخشري : البوغاء : دقاق التراب الهافى فى الهواء ... وارتفعت بوغاء الطِّيب : إذا سطعت سواطع فوحه .

ويقول ابن الأثير : البوغاء : دقاق التراب الطائر فى الهواء . وارتفعت بوغاء الطِّيب : إذا سطعت رائحته [2] .

وتأمل : « الهافى فى الهواء » و « الطائر فى الهواء » و « سطعت سواطع فوحه » و « سطعت رائحته » .

ويقول الزمخشري : المرمل : الذى نَفِد زادُه ، فرقَّت حالُه وسَخُفَت ، من الرمل ، وهو نسْجٌ سخيف .

ويقول ابن الأثير : المرمل : الذى نَفِد زادُه ، فرقَّت حالُه وضَعُفت ، من الرمل ، وهو نسجٌ ضعيف خفيف [3] .

ويقول الزمخشري : والضَّليع فى الأصل : الذى عظُمت أضلاعه ووفرت ، فأجفر جَنْباه ، ثم استعمل فى موضع العظيم ، وإن لم يكن ثَمَّ أضلاع .

---

(١) منال الطالب (حديث لقمان بن عاد) والفائق ١/٧٨ ، ويقال : ألمأ عليه : ذهب به خفية .

(٢) منال الطالب (حديث سطيح) والفائق ٢/٤٢ .

(٣) منال الطالب (حديث أم معبد) والفائق ١/٩٦ .

ويقول ابن الأثير : والضليع فى الأصل : الذى عظمت أضلاعه واتّسع جنباه ، ثم اتسع فيه ، فاستعمل فى كل عظيم ، وإن لم يكن ثَمّ أضلاع [1] .

وقول الزمخشرى : « أجفر جنباه » بمعنى « اتسع جنباه » التى أثبتها ابن الأثير . ورحم الله أبا حيان النحوى ، فإنه لو وقعت له « أجفر » هذه ، لقال فيها مايقوله فى بعض كلام الزمخشرى الذى يناقشه فى (البحر المحيط) ، فإنه يقول فى مثل هذا الموطن : « وفيه عَجْرَفِيَّة العَجَم » .

ويقول الزمخشرى : الدَّلِيف : هو المَشْى الرُّوَيد ، والتقدّم فى رِفق .

ويقول ابن الأثير : الدَّليف : المشى المتأنّى ، والتقدّم فى رِفق [2] .

وحَسْبك هذا ، فهو كافٍ فى الدلالة على ماذهَبت إليه .

هذا ، وقد تعقَّب ابنُ الأثير الزمخشريَّ فى أشياء : فأشار إلى أنه يذكر الأحاديث بغير إسناد . فيقول فى آخر حديث صفة النبىّ ﷺ ، المروىّ عن علىّ بن أبى طالب ، رضى الله عنه : « وأخرج الزمخشريُّ أكثره بغير إسنادٍ على عادته » .

وضعّف ماذهب إليه فى تأويل هذا البيت الذى يروى فى حديث سطيح :

أزرق ممهى الناب صرَّار الأذن

---

(١) منال الطالب (حديث هند بن أبى هالة) والفائق ٢/٢٢٩ .

(٢) منال الطالب (حديث رقيقة بنت أبى صيفى) والفائق ٣/٦١ ، وانظر أيضاً فى هذا الموضع من الكتابين تفسير « الصحل » .

فقال : « رواه الزمخشرى « مهمى الناب » ، وقال : هو مقلوب من الممهى : المحدَّد ، والظاهر - والله أعلم - أنه تصحيف قد وقع إليه كذا ، فاحتال لتأويله وجها » .

هذا كلام ابن الأثير ، وقد علّقت عليه فى تحقيقى ، بأن الذى فى (الفائق) المطبوع : « ممهى » بميمين بعدهما هاء ، وقال الزمخشرى : « وهو من المهى ، مقلوب » ، وكذلك حكاه عنه ابن الأثير فى النهاية ، ترجمة (مهم) .

ومما يتصل بهذا ما حكاه ابن الأثير عن الزمخشرى ، فى شرح حديث عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال ابن الأثير : وانصاح : مطاوع صاحه يصوحه : إذا شقه .... هكذا شرحه الزمخشرى ، وقال : ذكره الهروى فى الضاد والخاء المعجمتين ، وهو تصحيف منكر » .

قلت : الذى وجدته فى (الفائق) المطبوع [1] : « ومنضاخ ، بالضاد والخاء المعجمتين تصحيف منكر » . لم يزد الزمخشرى على هذا ، ولم يذكر الهروى ولا غيره .

بين المنال والنهاية

صرَّح ابن الأثير فى مقدمة (منال الطالب) بأنه أخذ فى تصنيفه بعد كتابه (النهاية فى غريب الحديث والأثر) الذى فرق فيه الغريب على حروف الهجاء ، وقد اقتضاه هذا أن ينتزع من الحديث الجزءَ المشتملَ

---

(١) الفائق ٢/٣١ .

على الغريب وحده ، قال رحمه الله عن كتاب (النهاية) : « فلا تكاد تجد فيه حديثاً تاماً وإن قلَّ كَلِمُه ، ولا أثراً متّسقاً وإن استقلّ منتظمه » [1] . فهو كتاب لغةٍ كما ترى .

أما كتاب (المنال) فقد جمع فيه الأحاديث والآثار الطّوال والأوساط بتمامها وأخذ فى شرحها ، فهو كتاب حديثٍ ولغة ، وإن كانت الغاية التى تغيّاها من وضع الكتاب لغويّة ، كما أسلفت القول .

ولما كانت (النهاية) بهذه المثابة فقد كثرت المادة اللغوية فيها وغزرت ، ولم يتسع القول فيها لبسط الشرح وتعدّد الروايات ومناقشتها ، على نحو ماجاء فى (منال الطالب) .

فقد بسط ابن الأثير فى (المنال) مااختصره فى (النهاية) فمن ذلك : تفسيره لوضائع الملك ، فى حديث طهفة بن أبى زهير النهدى ، فقد عرض فى (المنال) لرأى ابن قتيبة ، وذكر ردَّ أبى موسى المدينى عليه ، ثم تكلم على فتح الميم وضمها فى « الملك » ، وقد اختصر كلَّ ذلك فى (النهاية) اختصارا [2] .

ومن ذلك أيضاً ماجاء فى حديث قطن بن حارثة ، فى تفسير « الهمولة » . قال فى (المنال) : « الهمولة : الإبل التى أهملت للرعى ، وتُركت حيث شاءت ، ولا تستعمل فعولة بمعنى مفعلة ، ولهذا أكّدها بالراعية » .

---

(١) مقدمة منال الطالب . وراجع ماكتبته من قبل عن منهج ابن الأثير فى إيراد الأحاديث وشرحها .

(٢) المنال (حديث طهفة) والنهاية (وضع) ١٩٨/٥ .

وقال فى (النهاية) فى تفسير الهمولة : « هى التى أهملت ، ترعى بأنفسها ، ولا تستعمل فعولة بمعنى مفعولة » (١) .

ومنه شرح « النَّصِيَّة » فى حديث ذى المشعار مالك بن نمط الهَمْدانى ، فقد أوجزه فى (النهاية) وبسطه فى (المنال) (٢) .

ولم يحتفل ابن الأثير بتعدُّد الروايات كثيراً فى (النهاية) كما فعل فى (المنال) . فمن ذلك ماذكره فى تفسير « العجالة » فى حديث خزيمة ، قال فى (النهاية) : « هى لبن يحمله الراعى من المرعى إلى أصحاب الغنم قبل أن تروح عليهم » .

وقال فى (المنال) : « العجالة ، بالضم : اللبن الذى يحمله الراعى من المرعى إلى أصحاب الغنم قبل أن تصدر ، وإنما يفعل ذلك إذا كثر اللبن عليه ، فيحلبها فى المرعى . ويروى « العجالة » بالكسر ، وهى مايحمل الراعى عليه زاده ، كالتيس والكبش ، وقيل : هما بالضم والكسر : مايتعجله الإنسان » (٣) .

ومنه ماذكره فى تفسير « عليه مسحة ملك » من حديث جرير بن عبد الله البجلى ، فقد ذكر فى (المنال) أن قوله : « ملك » يروى بفتح الميم واللام ، ويروى بضم الميم وسكون اللام ، ولم يشرح فى (النهاية) إلاّ على الرواية الأولى (٤) .

---

(١) المنال (حديث قطن بن حارثة) والنهاية(همل) ٢٧٤/٥ ، وقوله فى النهاية : « مفعولة » خطأ ، وكذلك جاء فى اللسان (همل) والصواب : « مفعلة » كما فى المنال .

(٢) المنال (حديث ذى المشعار) والنهاية (نصى) ٦٨/٥ .

(٣) المنال (حديث خزيمة بن ثابت السلمى) والنهاية (عجل) ١٨٧/٣ .

(٤) المنال (حديث جرير بن عبد الله البجلى) والنهاية (حشد) ٣٨٨/١ .

ومن ذلك أيضاً ماذكره فى حديث أم معبد ، وقولها فى رسول الله ﷺ : « محفود محشود » . فقد قال فى (المنال) : « المحشود : الذى يجتمع الناس حوله ، يعنى أن أصحابه يحوطون به ، ويجتمعون على خدمته ، من الحشد : الجمع . ويروى بالسين المهملة ، من الحسد ، فإن صحَّ فمَنْ أولى بأن يُحْسَد ممّن تكاملت فيه مثلُ هذه الأخلاق المَرْضِيّة ؟ » .

ولم يُشر فى (النهاية) إلى رواية « محسود » بالسين المهملة ، ثم لم يزد فى شرح « محشود » على قوله : « أى أن أصحابه يخدمونه ويجتمعون إليه » (١) .

وفى حديث أم معبد أيضاً ، وذِكر هزال إبلها ، أورد ابن الأثير فى (المنال) أربع روايات فى هزال الإبل وضعفها : « تشاركن هزلا ، وتساوكن ، وتساوقن ، وتتاركن » . وهذه الرواية الأخيرة لم يذكرها فى (النهاية) ، لا فى مادة (ترك) ولا فى غيرها .

ومنه أيضاً ماذكره فى شرح قوله : « حتى إذا ألقت السماء بأرواقها » قال فى (النهاية) : « أى بجميع مافيها من الماء ، والأرواق : الأثقال ، أراد مياهها المثقِلة للسحاب » .

هذا قوله فى (النهاية) ، وقال فى (المنال) : « وقوله : « حتى التقت السماء بأرواقها » يريد بالسماء هاهنا السحاب . أى التقت بجميع مافيها من الماء ، والأرواق : الأثقال ، كأنه قال : التقت السماء بمائها الكثير المثقل للسحاب . وقيل : أراد بأرواقها : مياهها الصافية ، من راق الماء :

---

(١) المنال (حديث أم معبد) والنهاية (حشد) ١/٣٨٨ .

إذا صفا ، ويجوز أن يريد بالسماء السماءَ الحقيقية ، لا السحاب ، لأن المطر إنما يجىء من جهة السماء . وفى رواية : « حتى إذا ألقت السماء بأرواقها » من الإلقاء ، والباء زائدة » [١] .

وقد ناقش ابن الأثير بعض الروايات اللغوية فى (المنال) ، على حين اكتفى بعرضها فى (النهاية) . ومن ذلك شرحه للمؤزلة فى حديث طهفة ، قال فى (المنال) : « والمؤزلة ، هكذا تروى بهمزة ساكنة وكسر الزاى الخفيفة ، وفسِّرت أنها الجائية بالأزل ، والأزل : الضِّيق . قال : أزله يأزله أزلا : إذا حبسه وضيَّق عليه ، والرواية لاتنتظم مع هذا التصريف ، لأن المؤزلة مِن آزلتْ ، بالمدّ ، فإن صحّت الرواية فيكون قد عدَّى الفعل بالهمزة ، يقال : أزل الأمر يأزل : إذا ضاق واشتدّ ، وآزله غيرُه . وفى كتاب الزمخشرى : « المؤزِّلة » بفتح الهمزة وتشديد الزاى [٢] ، فإن صحّت الرواية فيكون قد عدّى الفعلَ بالتشديد للتكثير » .

هذا كلامه فى (المنال) ، ولم يزد فى (النهاية) على قوله : « أى آتية بالأزل ، ويروى : « مؤزلة » بالتشديد ، على التكثير » [٣] .

هذا وقد تكلم ابن الأثير فى (المنال) على أشياء لم يعرض لها فى (النهاية) ، فمن ذلك كلامه على أصل « النهنهة » ، قال : « والأصل فيه : نهّه ، بثلاث هاآت ، فأبدلوا من الهاء الوسطى نوناً للفرق بين فعلل وفعَّل » . ولم يذكر هذا فى (النهاية) [٤] .

---

(١) المنال (حديث الاستسقاء) والنهاية (روق) ٢٧٨/٢ .

(٢) ذكرت فى تعليقى على هذا الموضع أن الذى فى (الفائق) المطبوع ، بسكون الهمزة وكسر الزاى مخففا ، بضبط القلم ، ولم يقيده الزمخشرى بالعبارة .

(٣) المنال (حديث طهفة بن أبى زهير النهدى) والنهاية (أزل) ٤٦/١ .

(٤) المنال (حديث خزيمة بن ثابت السلمى) والنهاية (نهنه) ١٣٩/٥ .

ثم رأيته يقيِّد بعدَ الألفاظ بالعبارة فى (المنال) ، ويهمل ذلك فى (النهاية) ، فمن ذلك ضبطه للحورى فى حديث ذى المشعار . قال فى (المنال) : « الحورى : منسوب إلى الحور ، بفتح الحاء والواو ، وهى الجلود المتخذة من جلود الغنم ، مصبوغة بحمرة » .

ولم يقيّد هذا التقييد فى (النهاية) [1] وإن كان قد ذكر هناك عبارة صرفية تؤول إلى ماذكره فى (المنال) ، قال : « وهو أحد ماجاء على أصله ، ولم يعلّ كما أُعِلّ ناب » . فإن هذا يعطى أن « الحور » بفتح الحاء والواو .

ومن ذلك تقييده فى (المنال) « عرضان » بكسر العين وضمّها ، وإهمال ذلك فى (النهاية) [2] .

وقد وقفت على شىء من الخلاف بين (المنال والنهاية) ، وذلك ماذكره ابن الأثير فى ضبط « الحوب » ، فقد قال فى (المنال) : « الحوب : الإثم ، وتضم حاؤه وتفتح ، فالضم لغة الحجاز ، والفتح لغة تميم » .

وجاء عكس هذا فى (النهاية) ، وقلت فى تعليقى على هذا الموضع : « وكذا قال الفيومى فى المصباح ، وعكس المصنف فى (النهاية) ، فجعل الفتح لغة الحجاز ، والضم لغة تميم ، ومثله فى اللسان والتاج » [3] .

وبعد : فلعلّ فى هذا الذى ذكرتُ دليلاً على فَرْق مابين الكتابين ، وأنه لايغنى كتابٌ عن كتابٍ شيئاً .

---

(١) المنال (حديث ذى المشعار مالك بن نمط الهمدانى) والنهاية (حور) ١/٤٥٩ .

(٢) المنال (حديث وائل بن حجر) ، والنهاية (عرض) ٣/٢١٤ .

(٣) المنال (حديث جرير بن عبد الله البجلى) والنهاية (حوب) ١/٤٥٥ .

توثيق نسبة الكتاب إلى ابن الأثير

على كثرة مَن ترجموا لابن الأثير ، لم أجد مَن ذكر له هذا الكتابَ إلا ابنَ الشَّعَّار الموصلى المتوفى سنة (٦٥٤) ، وتاجَ الدين ابن السبكى [١] المتوفى سنة (٧٧١) ، وشمسَ الدين السَّخاوى [٢] المتوفى سنة (٩٠٢) ، وابن الشعّار يسمّى الكتاب : « منال الطالب فى شرح الغرائب » ثم يقول : « وهى الأحاديث المطولات » ، وابن السبكى يسميه : «شرح غريب الطِّوال » ، وهذه تسمية موهمة كما ترى ، فأكثر مايطلق لفظ «الطِّوال » على القصائد السبع الجاهلية المعروفة ، والسَّخاوى يسميه : « منال الطالب فى شرح طِوال الغرائب » .

وقد نظرت فى كتاب « كشف الظنون » فى جميع مظانّه ، فلم أجد فيه ذِكراً لهذا الكتاب ، ثم رأيت إسماعيل باشا البغدادى المتوفى سنة (١٣٣٩) فى « الذيل على كشف الظنون »[٣] يذكر عنوان الكتاب : « منال الطالب فى شرح طوال الغرائب » ولم يزد على ذكر العنوان شيئا .

وفيما عدا هؤلاء الثلاثة ، لم أجد مَن ذكر الكتاب ، أو أشار إليه ، أو نقل عنه .

وقد حاك فى صدرى أن الحافظ ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة

---

(١) راجع الموضع المذكور فى صدر الترجمة من عقود الجمان ، وطبقات الشافعية الكبرى .

(٢) فتح المغيث شرح ألفية الحديث ٤٩/٣ .

(٣) إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون ٥٦٢/٢ ، وأشير هنا إلى أن إسماعيل البغدادى حين ترجم لابن الأثير فى هدية العارفين – الموضع السابق – لم يذكر له هذا الكتاب .

(٨٥٢) ربما يكون قد اطلع على « منال الطالب » ، وذلك أن ابن الأثير ذكر فى حديث أكيدر قال : « ومن الناس من يقول : إنه أسلم ، والأول أصحّ » ، وقد حكى ابن حجر هذه العبارة عن ابن الأثير ، فى ترجمة أكيدر من « الإصابة » [١] ، فقال : « وقال أبو السعادات ابن الأثير أخو مصنف أسد الغابة : من الناس من يقول إن أكيدر أسلم ، وليس بصحيح » . فهل نقل ابن حجر هذا الكلام من « منال الطالب » أم من كتاب آخر من مصنفات ابن الأثير ؟ .

ومهما يكن من أمر ، فنحن نحمد الله تعالى أنْ سَلِمَتْ لنا مقدمةُ الكتاب التى ذكر فيها ابن الأثير غرضه من تأليف الكتابِ ، ومنهجه فيه ، وعنوانه الذى اختاره له ، ولولا ذلك كلّه لكنّا من هذا الكتاب فى أمرٍ مَريج .

ولعلّ جهالة هذا الكتاب عند القُدامى ترجع إلى أنه من أواخر تصانيف ابن الأثير – فى أكبر الظنّ – إذ كان تاريخ الانتهاء من نسخه وقراءته على مصنفه [٢] سنة (٦٠٦) ، والمصنف رحمه الله توفى فى سلخ ذى الحجة من السنة نفسها .

نسخة الكتاب

هى نسخة وحيدة احتفظت بها الخزانة العامة بمدينة الرباط ، عاصمة المغرب الأقصى – صانه الله من الآفات والمحن – وكم من

---

(١) الإصابة ١/١٣١ .

(٢) سيأتي الكلام على ذلك فى وصف نسخة الكتاب .

المخطوطات الفريدة النادرة ، احتفظت بها مكتبات المغرب العزيز ، الذى ظلَّ عربىَّ الوجه واليد واللّسان ، برغم عوامل القهر والاستلاب والمسخ التى تعرّض لها هذا البلد الإسلامىّ العظيم ، لقد عرف المغاربة قيمة هذا الإرث الجليل الذى آل إليهم ، فحفظوه وصانوه ، كما يصون كِرام الأبناء ودائعَ الآباء .

والمشتغلون بالتراث ونشر النصوص يذكرون للمكتبة المغربية أنها احتفظت بنُسخ وحيدة من كتب ذوات عَدد ، أذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر : حَذْف مِن نسب قريش ، لمؤرج السَّدُوسى ، والفَرْق فى اللغة ، لثابت بن أبى ثابت ، وراّق أبى عبيد القاسم بن سلّام ، والبرصان والعرجان ، للجاحظ ، والصاهل والشاحج ، لأبى العلاء المعرّى ، والوسيط فى الأمثال للواحدى ، والموفقى فى النحو ، لابن كيسان ، وكتاباً صغيرا فى النحو ، للحسن بن عبد الله ، المعروف بلُغْدة الأصبهانى [1] .

وأعود إلى الحديث عن نسخة (منال الطالب) ، فأقول : لقد جهدت فى الظفر بنسخة ثانية من هذا الكتاب ، فلم أوفق [2] .

ومِن نِعَم الله تعالى علينا أن هذه النسخةَ المغربية غير مُحْوِجةٍ إلى

---

(١) لعل الأيام تظهر نُسَخاً أخرى من هذه الكتب ، ولكن إلى الآن لم تُعرف هذه الكتب إلاّ مِن قِبَل المغاربة . وقد كتبت عن أثر علماء المغرب فى حفظ التراث الإسلامى قديماً وحديثاً ، منذ نحو أربع سنوات ، فى مجلة الثقافة المصرية ، ودعوة الحق المغربية .

(٢) وقد استعنت أخى الكريم الأستاذ على عبد المحسن زكى – وهو خبير فى مفاتشة الفهارس ، ومعرفة أماكن المخطوطات – فأفادنى حفظه الله أنه لم يعرف غير نسخة المغرب التى بين يدىّ .

غيرها ، فهى إلى النَّفاسة ماهى . وقد جمعت النسخةُ كلَّ أسباب القبول والتوثيق التى يعرفها المشتغلون بعلم المخطوطات [1] :

فخطّها نسخى نفيس جداً ، مضبوط ضبطاً كاملاً ، مع وضع علامات الإهمال تحت الحروف المهملة .

وناسخها هو : شرف [2] الدين محمد بن نصر الله بن محمد بن عبد الكريم ، وهو ابن أخى المصنف ، والده : نصر الله ابن الأثير ، صاحب كتاب (المثل السائر) ، وقد فرغ شرف الدين من نسخ الكتاب سنة (٦٠٦) ، وكتب فى آخر النُّسخة :

« تمّ كتاب منال الطالب فى شرح طِوال الغرائب ، وذلك فى سنة ستٍّ وستمائة . كتبه محمد بن نصر الله بن محمد بن عبد الكريم ، ولد أخى المصنّف ، حامداً [3] لِلَّه تعالى على نِعمه ، ومصليا على رسوله[4] مسلّماً . والحمد لله رب العالمين » .

---

(١) إلاّ ماسوف تراه من هذه المواضع القليلة من الفراغات والبياض ، وهذه من المؤلف نفسه ، وسيأتى الحديث عن ذلك .

(٢) يبدو أنه كانت لشرف الدين هذا عنايةٌ بكتب عمّه ، فقد رأيت نسخة نفيسة من « النهاية » مكتوبة سنة (٦٠٤) وبآخرها قراءة علَى شرف الدين هذا ، وهذه النسخة محفوظة بمكتبة قرا مصطفى باشا ، الملحقة بمكتبة بايزيد باستانبول ، برقم (١٨٨١٩) وقد رأيتها خلال رحلتى إلى تركيا عام ١٣٩٠ – ١٩٧٠ ، وقد ترجم ابن خلكان لشرف الدين هذا فى آخر ترجمة أبيه نصر الله ، وأفاد أنه ولد سنة (٥٨٥) وتوفى سنة (٦٢٢) ثم قال : ورأيت له مجموعا جمعه للملك الأشرف بن الملك العادل بن أيوب ، وأحسن فيه ، وذكر فيه جملة من نظمه ونثره ورسائل أبيه .

وفيات الأعيان ٣٩٧/٥ ، وانظر الأعلام للزركلى ٣٤٧/٧ .

(٣) هكذا بكسر اللام فى لفظ الجلالة .

(٤) هكذا بغير واو العطف .

وقد سمع محمدٌ النسخةَ وقرأها على عمه المصنّف . وكتب السماعَ عَمُّه الثانى عزّ الدين على بن محمد ، ابن الأثير المؤرخ ، صاحب كتاب (الكامل) . وهذه صورة السماع وتاريخه ، كما جاءت على صفحة العنوان :

« سمع جميع كتاب منال الطالب فى شرح طوال الغرائب ، من أوّله إلى آخره ، علَى مصنّفه المولى الأخ [السعِيد][1] مجد الدين أبى السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم ، إملاءً من لفظه ، ولدُ [الأخ][2] الولدُ الأعزّ شرف الدين محمد بن نصر الله بن محمد بن عبد الكريم فى عدة مجالس ، فى شهور سنة ست وستمائة . كتبه على بن محمد بن عبد الكريم ، فى جمادى الأول [هكذا] من سنة ستّ وستمائة ، حامداً لله تعالى ، ومصلياً على رسوله محمد وآله ومسلِّماً » .

وترى أثر هذا السماع على حواشى النسخة فى آخر الأحاديث .

وفوق هذا السماع كتب عنوان الكتاب هكذا :

« كتاب منال الطالب

فى شرح طِوال الغرائب

تأليف العبد الفقير إلى الله تعالى

المبارك بن محمد بن عبد الكريم . تقبل الله

صالح عمله وغفر له »

---

(١) جاءت هذه الكلمة غامضة ، وقد اجتهدت فى قراءتها كما ترى .

(٢) مكان هذه الكلمة بياض ، وقد رجحت أنها هكذا .

وأرجّح ترجيحاً أن هذا كلَّه بخطّ المؤلف نفسِه ، فقد جاء مثلُه تماماً على صفحة العنوان لمخطوطة كتاب (المرصَّع) للمصنِّف ، نسخة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ، رقم (٥٦٦٠) ، وانظر الجزء الحادى عشر ، من (الأعلام) للزركلى . القسم الثانى ، صورة رقم (٩٠٠) ، وانظر أيضا مقدمة (المرصع) تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائى .

وفى أعلى صفحة العنوان تملّك باسم « السيّد حسن نقيب الأشراف » ، وتملك آخر باسم « أحمد بن محمد بن ناصر » ، وهو صاحب الخزانة الناصرية بتمجروت بالمغرب . وابن ناصر هذا معاصرٌ للمرتضى الزَّبيدى صاحب تاج العروس ، المتوفى سنة (١٢٠٥) ، وقد كتب عنه المغاربةُ كثيرا .

وفى أسفل الصفحة تملك باسم « محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن محمد ، سنة ثمان وثمانين وستمائة ، بدمشق » .

وفى الصفحة الأخيرة تملك ومطالعة باسم « محمد بن يحيى بن يوسف بن أبى القاسم السَّلامى » . وعلى حواشى النسخة تعليقات قليلة لبعض العلماء .

والنسخة تقع فى (٢٥٨) ورقة ، مسطرتها ١٥ سطراً ، ومقاسها ١٧ × ٢٥٫٥ سم ورقمها فى الخزانة العامة بالرباط (١٨٢) أوقاف [1] .

---

(١) وقد كتب عن هذه النسخة ، ونقل مقدمتها ، ونموذجا من أحاديثها العلامة الجليل الشيخ حمد الجاسر ، بمجلة العرب – الجزء السادس – السنة الخامسة ١٣٩٠ – ١٩٧١ كما أشار إليها العلامة المرحوم الزركلى فى المستدرك الثانى من الأعلام ص ١٧٦ .

وبالنسخة بياض فى أحاديث : سَطيح ، وأبى عمرو النّخَعى ، وعلى بن أبى طالب ، فى الصلاة على النبىّ ﷺ ، والمغيرة بن شعبة الثقفى ، والأعشى الحِرْمازى ، وعبد الملك بن عمير (فى حديثين له) .

ولما كانت النسخة قد قرئت من أولها إلى آخرها ، على المصنف رحمه الله ، فإن هذا البياضَ منه نفسه ، وقد تركه ليستكمله فيما بعد ، ثم حالت المنيَّة بينه وبينه ، وقد حاولت ملء هذا البياض . والله المستعان .

أخطاء النسخة

فى أثناء عملى فى تحقيق الكتاب ، وقعت على طائفة يسيرة من الأخطاء والأوهام ، كنت أحبّ أن أردَّها إلى غفلة الناسخ وحده ، فإن الهجوم على تخطئة الأوائل نَمَطٌ صعب ونَمَطٌ مخيف[1] ، ثم هو من التَّقَحُّم المُزْرى بصاحبه ، ولكن ماذا نصنع والنسخة قد قرئت وصحّحت من أوّلها إلى آخرها على مصنفها رحمه الله .

ومهما يكن من أمر : فابن الأثير بشر ، يجوز عليه مايجوز على جميع البشر ، من السَّهو والنّسيان ، وسبحان من تفرّد بالكمال وتنزّه عن النقصان .

فمن أخطاء الضبط : جاءت « البرية » بمعنى الصحراء ، دائماً

---

(١) هذا من تعبيرات أستاذنا الجليل محمود محمد شاكر ، حفظه الله ، والنمط : الطريقة . يقال : الزم هذا النمط ، أى هذا الطريق ، والنمط أيضاً : الضرب من الضروب ، والنوع من الأنواع ، يقال : ليس هذا من ذلك النمط ، أى من ذلك النوع والضرب ، يقال هذا فى المتاع والعلم وغير ذلك .

وحيث ماوقعت من الكتاب ، بكسر الراء خفيفة ، والصواب فيها التشديد مع الكسر : « البَرِّيَّة » .

وفى حديث قطن بن حارثة ، ضبط « الحمول » بفتح الحاء . وقد نص صاحب القاموس على أنه بالضم .

وفى حديث استسقاء النبىّ ﷺ : جاء « سبل سابل ، ومطر ماطر » بفتح اللام فى « سبل » والراء فى « مطر » على أنهما فعلان ماضيان ، والصواب أن يكونا بالضم مع التنوين ، على الاسمية ، ويجريان مجرى قولهم فى المبالغة : « شِعْرٌ شاعرٌ » . وراجع اللسان (سبل) .

وفى حديث أم معبد : ضبط الفعل « يصهل » بضم الهاء ، والصواب أن يكون بالكسر أو بالفتح ، فإن الفعل من باب « ضرب ومنع » كما فى المصباح والقاموس .

وفى غير الضبط .

جاء فى حديث لقمان بن عاد ، ووصفه لإخوته ، قال المصنف : « والحممة : الفحمة ، وجمعها : حمم ، كأنها تريد به سواد شعره أو لونه » . وصواب الكلام على التذكير : « كأنه يريد » فإن الواصف هو لقمان ، وقد جاء فى (النهاية) مادة (حمم) على الصواب ، قال : « أراد سواد لونه » .

وفى حديث قُسّ بن ساعدة الإيادىّ : شرح المصنّف كلمة « الأجَشّ » بأنها « الرفيع الصوت » . والذى فى كتب اللغة : « الغليظ الصوت » .

وفى حديث هند بن أبى هالة ، فى صفة النبىّ ﷺ : ذكر ابن الأثير تفسير ابن قتيبة لقوله : « لايقبل الثناء إلاّ مِن مكافىء » ثم قال عقبة : « وأنكر ابن الأعرابىّ هذا التأويل » .

وقول المصنّف : « ابن الأعرابى » خطأ ، والصواب : « ابن الأنبارى » ، كما جاء فى (الغريبين) و(النهاية) – مادة (كفأ) ، وقد قلت فى تعليقى فى ذلك الموضع إن ابن الأعرابى ، محمد بن زياد ، توفى سنة (٢٣١) فيبعد أن يتعقب ابن قتيبة المتوفى سنة (٢٧٦) ، وأيضاً فإن نقد أبى بكر بن الأنبارى لابن قتيبة معروف مذكور فى كتب الغريب واللغة ، وقد نقلت فى ذلك كلمة الإمام أبى سليمان الخطابى فى صدر هذه المقدمة .

وجاء فى حديث رُقَيْقة بنت أبى صيفى : « وأيفع الغلامُ : إذا شَبَّ وترعرع وشارف الاحتلام ، وهو من نوادر الأبنية ، لأن قياس أيفع : موفع ، لا يافع » .

وقد علّقت على هذا الكلام فى تحقيقى ، فقلت : هكذا جاء فى الأصل ، ولعلّ صواب الكلام : « أيفع الغلامُ فهو يافع » ، وذلك ليتجه إليه قول المصنف : « وهو من نوادر الأبنية » وعلى هذا جاء الكلام تامًّا فى (النهاية) مادة (يفع) .

وقد كدت أن أكمل الكلام بما ترى ، ولكنى آثرت أن أتركه على ماهو عليه ، وأعلّق فى الحاشية ، اقتداءً بهذا العالِم الذى كتب فى حاشية الكتاب معلّقاً على وهم فى الحديث الأول – حديث طهفة بن أبى زهير النَّهدى ، فقد قال : « ولم أر أن أصلحه ، لأنه مقروء فى هذه النسخة على مصنّفه ، وخطّه عليها » .

وقد وقفت على أوهام أخرى ، نبهت عليها ، تراها حين تأتى قراءتك على الكتاب إن شاء الله .

وبعد :

فهذا أثرٌ جليل لعالِم جليل ، أرجو أن أكون قد قمت بما ينبغى له مِن التقديم والتحقيق . ورحم الله مؤلفه ، وجزاه خير ما يَجْزى به عباده المخلصين ، فقد صنَّفه فى زمان علّته وأيام مرضه ، ورحم الله علماءَنا وأسلافَنا الذين عرفوا لُلغتهم حقَّها ؛ من كريم الرعاية ، ودقّةِ النظر ، وحسن الفقه ، وكمال التصنيف ، وأقاموا حولَ كتاب الله عزّ وجلّ ، وسنّة نبيّه ﷺ ، صرحاً شامخاً من الكتب والمصنَّفات ، لم تعرفه أمةٌ من الأمم ، ولم تشهدْه ثقافةٌ من الثقافات .

وغفر الله لنا ، فقد جئنا إلى هذا التراث : لننالَ به الشهادات ونرتقىَ عليه إلى المناصب ، ونطلبَ به المَثالَة عند الناس ، ثم لم نعطه حقَّه من الدرس والتأمل والاقتداء .

ورحم الله النضر بن شُميل ، فكأنه كان يعنينا حين قال قولته العظيمة فى الخليل بن أحمد ، شيخ العربية . يقول النضر : « لقد عاش الخليل بن أحمد فى مِرْبَدٍ من مرابد البصرة لايجد قُوتَ يومه وأصحابُه يأكلون بعِلْمه الأموال » .

اللهمّ إنّا نعوذ بك من فِتنةِ القول ، كما نعوذ بك من فِتنة العمل ، ونعوذ بك من التكلّف لما لانُحسِن ، كما نعوذ بك من العُجْب بما نُحْسِن (١) .

---

(١) من كلام الجاحظ فى مقدمة البيان والتبيين .

ربَّنا لا تُزِغْ قلوبَنا بعد إذْ هديتنا وهَبْ لنا من لَدُنْك رحمة إنك أنت الوهّاب (١) .

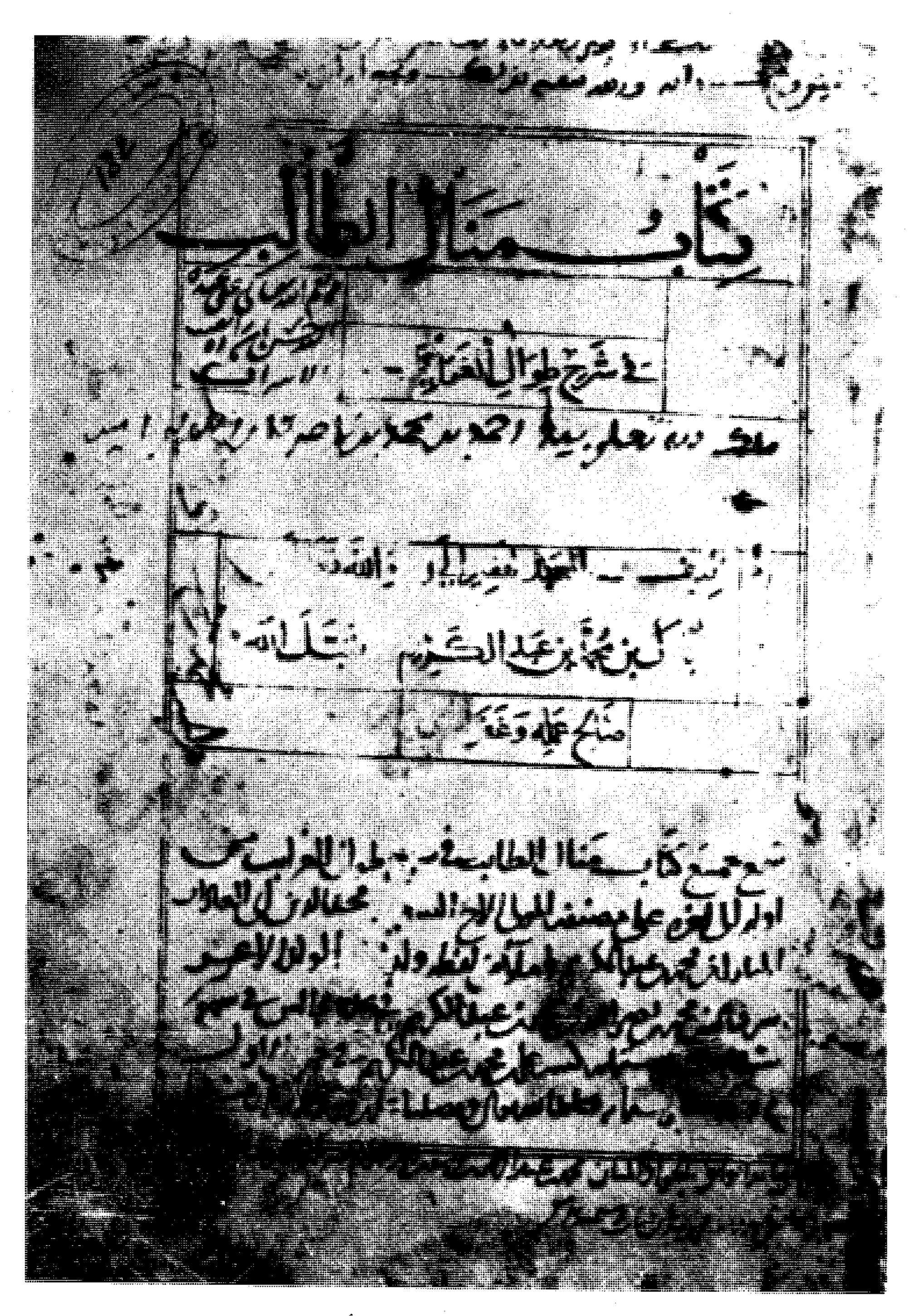
ربَّنا اغفِر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعلْ فى قلوبنا غِلاًّ للذين آمنوا ربَّنا إنك رءوفٌ رحيم (٢) .

والحمد لله فاتحة كلّ خيرٍ وتمام كلّ نعمة
مكة المكرمة فى شهر شعبان ١٣٩٩
الموافق لشهر يونيه ١٩٧٩

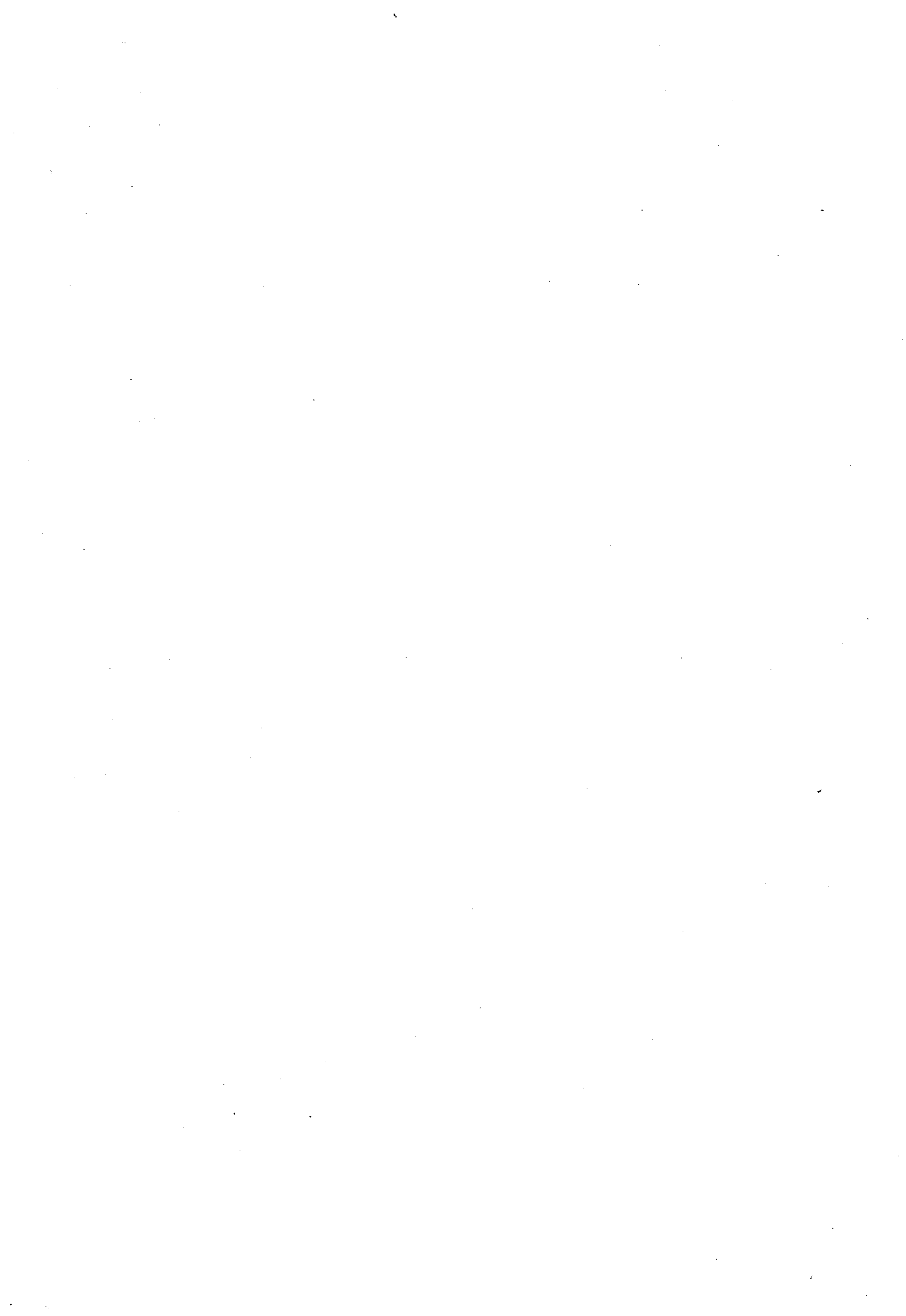
محمود محمد الطناحي

---

(١) سورة آل عمران ٨ .
(٢) سورة الحشر ١٠ .



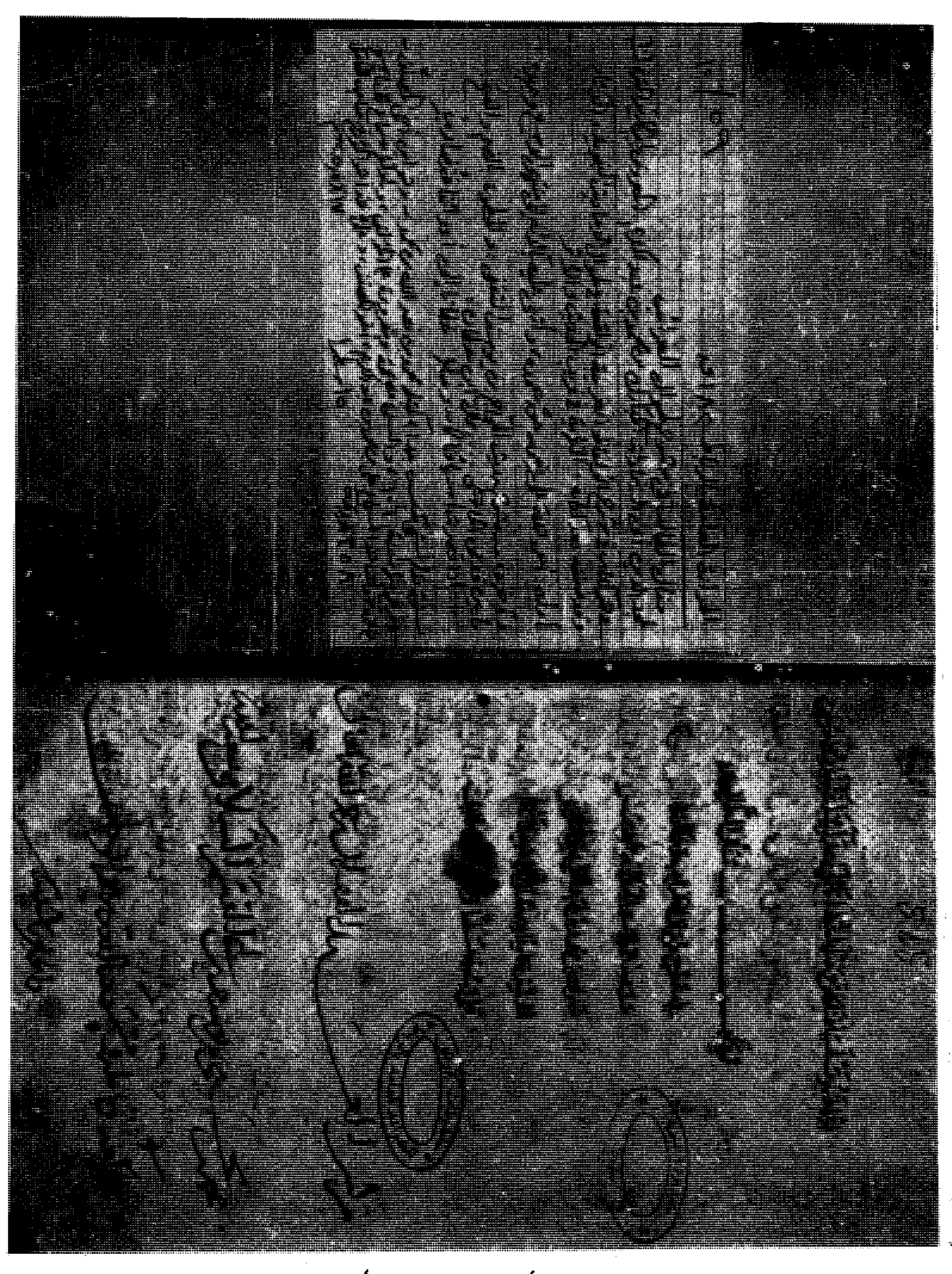
صفحة العنوان من نسخة الأصل





الورقة الأولى من نسخة الأصل





الورقة الأخيرة من نسخة الأصل

وهذا الخط الحديث الذى تراه على يسار الورقة هو خطى ، وصفتُ به النسخة ، فى أثناء زيارتى للمغرب الأقصى سنة ١٣٩٥